نحو التربية الإسلامية الحرة

في الحكومات والبلاد الإسلامية

مقالات ومحاضرات عن سياسة التعليم والتربية في الأقطار الاسلامية
والحاجة إلى صياغتها الاسلامية الجديدة

بقلم

السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

أمين ندوة العلماء العام بلكهنؤ - الهند
وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق - سوريا

دار الإرشاد
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب ٦٣٤٧ - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

نحو التربية الاسلامية الحرة

الطبعه الاولى

١٣٨٨ ﻫ - ١٩٦٩ م

كلمة بين يدي الكتاب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

اما بعد ! فإن موضوع التربية في الحكومات ، والبلاد الإسلامية ؛ وكيف يجب أن تكون سياسة التعليم وإلى أين تتجه ؟ ، وما هي الأهداف الصحيحة ، والمثل العليا ، التي يجب أن تهدفها ، وتسعى لتحقيقها ؟ هو موضوع الساعة الذي يشغل قادة الفكر ، والمهتمين بشؤون العالم الإسلامي في جميع أنحائه ، ولعله هو الموضوع الحساس الحاسم الذي سيقرر مصير الأمة الإسلامية ، ويصوغ مستقبلها .

وقد تناولت هذا الموضوع بالبحث والتفكير منذ مدة طويلة ، وقد نشرت « البلاد السعودية » أول بحث لي في هذا الموضوع في سنة ١٩٥٠ م ، في سلسلة مقالات نشرتها تباعاً في أعدادها ، وكنت يومئذ في مكة ، ونشر هذا البحث مرات عديدة بعنوان « كيف توجه المعارف في الأقطار الإسلامية ؟ » وأمامي الطبعة الخامسة التي صدرت في الاسكندرية عام ١٣٨٠هـ

(١٩٦١ م) قام بطبعها فضيلة الشيخ عبـــد المهيمن أبو السمح إمام المسجد الحرام، ثم بحثت في هذا الموضوع في كتابي « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الاسلامية » وكان آخر ذلك محاضرة ألقيت في جامعة الرياض في ٢٢ شعبان ١٣٨٨ هـ (١٣ نوفمبر ١٩٦٨) وقد جاءت فيه الفكرة مختمرة ناضجة ، وفي وضوح كبير ، حين قمت بزيارة العاصمة السعودية على دعوة كريمة من صاحب المعالي الوزير العالم الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ وزير المعارف للمملكة العربية السعودية ، وقـــد رأيت أن أضمّ إلى هذه الفصول الثلاثة التي هي في صميم موضوع التربية في البلاد الإسلامية ما جاء متصلاً به في كتابي « روائع اقبال » ، وأجمع كل ذلك في رسالة مفردة تعطي فكرة كاملة متناسقة في هذا الموضوع ، ونقدمها إلى قادة الفكر ، والعاملين في حقل التعليم إسهاماً منا في هذا الجهاد المقدّس ، وفي هـــذا العمل البنائي الإيجابي ، الذي هو أكبر حاجة العـــالم الإسلامي اليوم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

ابو الحسن علي الحسني الندوي

أمين ندوة العلماء العام

لكهنؤ (الهند)

١٢/٩/١٣٨٨ هـ

٤/١٢/١٩٦٨ م

مبادئ وأسس التربية والتعليم ★
في الأقطار الإسلامية

مسألة مستقلة قائمه بذاتها : إنّ مسألة التعليم في البلاد الإسلامية مسألة مستقلة قائمة بذاتها ، لأن الأمة الإسلامية أمة خاصة في طبيعتها ووضعها ، هي أمة ذات مبدأ وعقيدة ، ورسالة ودعوة ، فيجب أن يكون تعليمها خاضعاً لهذا المبدأ والعقيدة ، وهذه الرسالة والدعوة . و « التعليم » أداة لإنشاء الأجيال التي تؤمن بهذا المبدأ ، وتدين بهذه العقيدة ،وتحمل هذه الرسالة، وتؤدي هذه الدعوة ، وكل تعليم لا يؤدي هذا الواجب أو يغدر بذمته، ويخون في أمانته فليس هو التعليم الاسلامي بل هو التعليم

★ مقتبس من رسالة المؤلف « كيف توجه المعارف في الأقطار الإسلامية ؟ » .

الاجنبي ، وليس هو البنـــاء والتعمير بل هو الهـــدم والتخريب ، وأولى للبلاد الاسلامية أن تتجرد منه وتحرم من ثمراته المادية ، فالأمية خير لها من هـــذا التعليم الذي يزرأها في طبيعتها وعقيدتها وروحها .

إذاً فمهمة التعليم في البلاد الإسلامية مهمـــة عسيرة معقدة ليست من السهولة بالمكان الذي يتصوره رجـــال التعليم في بلادنـا ، إنه ليس مجرد تعليم العلوم والفنون ، ولغات وطنية وأجنبية ، وآداب أهلية وأوروبية ، بل هو إنشاء جيل جديد إنشاء فكرياً خلقياً ممتازاً ، وذلك لا يتم بترجمة الكتب ، وجلب الأساتذة من الخارج وإنشاء عدد كبير من الكليات والجامعات ، وإرسال بعثات من الطلبة إلى أوربا وأميركا ، إنما يحتاج إلى شيء كثير من النبوغ والابتكار ، وشيء كثير من التأليف والإنتاج ، فإن هذا التعليم يطلب منهاجاً دراسياً خاصاً لا يوجد الآن كاملاً في أي بلد من بلاد الإسلام فضلاً عن بلاد الأجانب .

مصدر صراع فكري مشئوم : وكلما استعير منهاج من بلاد غير اسلامية ، أو اختيرت كتب وضعت في بلاد غير مسلمة، ولناشئة غير مسلمة كان هذا المنهاج، وكانت هذه الكتب

قلقة نابية لا تفي ولا تساعد في المطلوب ، ويكون الصراع مستمراً بين الفكر الاسلامي والروح الإسلامية ، وبين العقلية الجديدة والنفسية الجديدة ، التي تنشأ بتأثير هذه الكتب ، ومفعول هذا النظام التعليمي ، وهذا الصراع ليس أقل شؤماً لهذه الأمة ، ولا أقل جناية على حياتها وسلامتها ، من صراع الدين والسياسة ، والعقل والديانة في أوروبا في قرونها الوسطى .

وقد تجلى هذا الصراع وعنف واستفحل في جميع الأقطار الاسلامية ، التي أخذت العلوم الغربية برمتها ، والكتب المقررة في البلاد الأجنبية أو الكتب الخالية من روح الدين ، على علاتها ، وطبقت نظام أوروبا أو بلاد أخرى في التعليم في بلادها ، أو أدخلت عليه شيئاً من التعديل ، وقد دفعت لهذا التعليم وما جنت منه من فوائد مادية قيمة غالية جداً في الأخلاق والروح والعقيدة ، وقد اتفقت كلمة العقلاء وأهل التجربة على أن خسارة الأمة والبلاد في هذا النظام التعليمي ، وفي هذه المعاهد ودور التعليم الحديث ، كانت أكبر من ربحها ، فقد استنفد دعاة التعليم العصري الحديث جهودهم وأموال المسلمين في انشاء

هذه المدارس وإقامتها ، واستخلصوا لها أفلاذ أكبـــاد المسلمين وخيرة شبابهم ، فكان غاية ذلك بعد مــــدة قليلة فوضى فكرية هائلـــة واضطراب وتناقض في الأفكار والآراء ، وشك وارتياب في الدين واستخفاف بفرائضه وواجباته ، وثورة على الآداب والأخـــلاق ، وضعف وانحطاط في الأخلاق والسيرة،وتقليد للأجانب في القشور والظواهر ، وتبذير للأموال ، إلى غير ذلك مّما أصبح به هذا الجيل كلاّ على الآباء وعلى الأمة ، وجرثومة الفساد في جسمها ، ونقطة الضعف في مركزها .

وضع منهاج للتعليم الاسلامي: يعلم المطلعون على حقائق العلوم وفلسفة التعليم،أن للعلوم والكتب روحاً وضميراً، كالكائنات الحية ، وهو باطن هذه العلوم ، والروح السارية في الكتب .فالعلوم التي أنشأها الإسلام ، وصاغها في قالبه ، قد سرت فيهـا روح الإيمان بالله ، والتقوى والخشية لله ، والفضيلة والإيمان بالآخرة ، والعلوم التي وضعها اليونان أو رتبوها اشتملت على خرافاتهم ، وعلى روحهم الجاهلية، وكذلك العلوم التي دونتها أمم أوروبا الملحدة ، والكتب التي ألفهـا أدباؤها وفلاسفتها ، قد سرى فيها الإلحـــاد

والجمود ، والإيمان بالماديات والمحسوسات فقط ، وقلة التقدير لما لا يأتي تحت الحس والوزن ، والعد والتجربة ، وما لا يحصل له لذة أو نفع محسوس في الأخلاق ، وسرت هذه الروح في علومهم وفلسفتهم وأدبهم وشعرهم وقصصهم وتمثيلهم .

فلا يكون من الحكمة التعليمية ، ومن النصح للمسلمين نقل هذه العلوم ، والكتب المؤلفة فيها إلى النشء المسلم بروحها وضميرها ، بل يجب أن تدون هذه العلوم من جديد تدويناً إسلامياً ، وتؤلف فيها كتب مبتكرة ، وتشبع بالروح الدينية ، وتستخرج منها نتائج لا تعارض الدين ، بل تؤيده وتبعث اليقين والإيمان ، وهكذا يجب أن تعمل مع التاريخ والجغرافية ، والعلوم الطبيعية ، فلكل منها إتصال بالدين ، وكل منها مؤثر في الدين .

والحاصل أننا في البلاد الإسلامية في حاجة ملحة إلى نظام تعليمي إسلامي في الروح والوضع ، والسبك والترتيب ، لا يخلو كتاب من الكتب التي تعلم مبادىء اللغة إلى آخر كتاب يدرس في العلوم الطبيعية ، أو الآداب

الانجليزية من روح الدين والايمان ، هذا إذا أردنـــا أن ينشأ جيل جديد يفكر بالعقل الاسلامي ، ويكتب بقـلم مسلم ، ويدير دفة البلاد بسيرة مسلم وخلقه، ويدير سياسة التعليم والمالية بمقدرة مسلم وبصيرة مسلم ، وتكون البلاد الاسلاميـة . إسلامية حقاً في عقلها وتفكيرها ، وسياستها وماليتها وتعليمها .

إذا فوضع هذا المنهاج التعليمي من حاجات البــــلاد الاسلامية الأولى التي لا يسعها التغافل عنهـا ، والتساهل فيها ، وهو عمـل شاق وواسع يأخذ وقتاً طويلاً ، وليس عمل فرد من الأفراد أو حفنة من الناس ، إنما هو عمل تقوم به جماعات ولجان ، ومجامع علميـــة بمساعدة الحكومات الاسلاميـة وتشجيعها ، ويسند كل جزء من هـذا الانتاج العلمي إلى جماعة تتوفر فيها مؤهلاته .

فمثلاً تقوم جماعة بتاليف سلسلة كتب تعـلم مبادىء اللغة ، وكتب تعلم اللغة والآداب ، ومهمتها أن تضع كتباً تجمع بين المادة اللغوية والمعلومات اللازمة ، ولا يخلو درس أو مجموع الكتب من روح الدين ، وهكذا في تعليم اللغـة والأدب إلى أن يصل الطالب إلى دراسة المصادر الأدبيــة

وكتب الأولين ، فيكون تعليم اللغة والأدب في رحلته الأولى والوسطى مساعداً ومتسقاً مع نظام التعليم في تكوين العقلية الاسلامية والذوق الاسلامي ، وتعليم اللغة والأدب ، له تأثير كبير في تكوين العقليات ، وتقويم الأخلاق ، كما يعرفه العارفون .

وهكذا يجب أن تخصص لجان للتأليف في الجغرافية والتاريخ والعلوم الطبيعية ، فتضع كتباً تشمل على أحدث المعلومات مع الروح الدينية والنتائج الدينية ، فيخرج الطالب من كتب الجغرافية مؤمناً بأن هذه الأرض التي ولد عليها ، والكون الذي يعيش فيه منظم منسق ، وأن خالقه حكيم خبير ؛ ويهتدي من المخلوقات إلى الخالق ، ومن المعلومات إلى التفكير ، ومعرفة الله وذكره ، والتسبيح بحمده ...

وكذلك التاريخ ، يعرف أن لله سنناً لا تتغير ، وأياماً في خلقه ، وإن لحياة الأمم ، تقدمها وتأخرها ، وعثارها ونهوضها قانوناً معقولاً ، وإن كل أمة حادت عن السبيل وثارت على القوانين الالٓهية التي ذكرها القرآن وعلى الأخلاق الفاضلة والنواميس العادلة عوقبت عقوبات في الحياة

الدنيا ، ومحيت من الوجود .

وكذلك العلوم الطبيعية ترتبها ترتيباً جديداً ، وتستنتج منها نتائج دينية مهمة جداً ، وتستخدمها لإثبات الدين، وتعزيز العقيدة الاسلامية وخدمة المجتمع الاسلامي كما اتخذها الملحدون والمفسدون في الأرض أداة إلحاد وإفساد ، وهذا ميسور للعلماء الذين يجمعون بين معرفة روح الاسلام ، والتعمق في هذه العلوم ، والتوسع في دراستها والابتكار.

المواد الدراسية الهامة :

القرآن الكريم : ولا بد هنا من الارشادات إلى بعض المواد الدراسية التي يقل الاعتناء بها في نظامنا التعليمي ، وهي في المكانة الأولى من الأهمية . والتأثير في النفوس :

أولها : القرآن الكريم هو أقوى شيء في تكوين العقول والأخلاق والنفوس ، وهو الكتاب المعجز الذي أحدث أكبر انقلاب في تاريخ البشر ، وهو الكتاب الخالد الذي لم تخلق جدته ولم تبل نضارته ، وهو الكتاب الدافق بالحياة والجدّة ، الذي يستطيع أن يحدث انقلاباً جديداً في المجتمع والحياة إن وجد طريقاً إلى القلوب ، فليكن له

القسط الأوفر والنصيب الأكبر في دراستنا ، ولتكن هذه الدراسة مجردة بقدر الامكان، فيدرس متنه درساً لا يغلبه النقـــاش والبحث ولا يشرّح تشريحاً كتشريح الأجسام بحيث يحتجب جماله ، وتتوارى قوته ، ولا ينبغي للمعـلم أن يحول بين الطالب وبين القرآن ، ويقف بينهما كرجل يقف بين المرآة والمطالع فيها ، بل يدعه يتـــذوق القرآن تذوقاً ، وتتلذذ به روحه وتمتـــلىء به نفسه ، ويشير إلى مواضع العبرة والتفكير ، ويساعده مساعدة لغوية فقط .

السيرة النبوية : والمادة الأخرى التي هي في الدرجـة الثانية من الأهمية والقـوة ، هي السيرة النبـوية ، على صاحبها الصلاة والسلام ، وهي أجمـل شيء في الوجود ، وهي التي تشق طريقها إلى القلوب بغير شفيع ووسيط ، وتلتصق بالنفس ، فيحب الرجـل هذه الحيـاة الفريدة ، ويحب صاحب هذه الحيـاة - بأبي هو وأمي ﷺ - الذي كان أروع آيات الله تعالى في جمال الخَلق والخُلق ، معجزة كاملة تشتمل على المعجزات بقدر أيام حيـــاته وأخلاقه وكلمـــاته ، فيحب الإسلام لأجله ، ولما رآه في شخصيته وسيرته من العدل والعقل ، والفضل والجمال ، فليكثر من

درس السيرة بقدر الإمكان ،ولا أعني من كتب السيرة هذه الفهارس العقيمة التي وضعت للطلبة، وطلب منهم حفظها واستحضارها ، ولا تشمل إلا على السنين والأعداد ، وأسماء الغزوات والحوادث المهمة ، إنما أعني كتب السيرة التي تملأ القلب مهابة وإجلالاً ، ومحبة وإيماناً ، فينبغي أن لا يخلو معظم الفصول من درس كتاب مؤثر في السيرة .

تاريخ الصحابة : والذي يلي السيرة النبوية في التأثير والقوة ، هو تاريخ الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم ، تاريخ إيمانهم ومحنتهم وحسن بلائهم ، وتاريخ جهادهم وفتوحهم ، وزهدهم واستقامتهم ، وهو تاريخ يملأ القلب إيماناً وحماسة ، ويبعث على التقليد ، لأنهم كانوا من عامة البشر ، وكانوا نتيجة الايمان بالدين وإتباع الرسول فقط ، وترفع مستوى الانسانية من المادة والأغراض إلى التجرد من الأنانية، والتفاني في حب الرسول فقط ، والتضحية والإيثار والوفاء ليس فوقها درجة ، فليكثر من تدريس كتب التاريخ ، وليكثر من دراسة الحوادث والحكايات ، فإن للحوادث والحكايات تأثيراً ليس للمنطق والبرهان ، والمقالات العلمية .

التربية المعنوية: هذا ما أردت أن أقوله في منهاج التعليم والمواد الدراسية ، وهنا كلمة عن التربية : إن التربيــة لا تقل أهمية عن التعليم، وإذا خلا التعليم عن التربية أصبح بلا نتيجة في أكثر الأحيان ، ونقصاً في ناحية التربية ليس بأقل من نقصنا وفقرنا في ناحية التعليم ومنهاج دراسته .

وموضوع التربية موضوع واسع ، طويل الذيـــل ، وكثير الشعب والنواحي ، وإنما أشير هنا إلى نقطة مهمة .

رسالة المسلمين وسيادتهم : فيجب أن يفهم طلبتنـــا غايتهم ورسالتهم ، وليعرفوا أنهم يتعـــلمون ليستحقوا سعادة الدنيا والآخرة وينقذوا أنفسهم وأهليهم من النار ، وسخط الخالق ، والحياة الجاهليـــة ، ويخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام ، وأنهم ورثــة الأرض إذا صلحوا ، خلقت لأجلهم الدنيا ،وكتب لهم العلو والسيادة والناس لهم تبع ، وأنهم في الأصل مسلمون ، عاملون دعاة الى الله وإلى دار السلام ، وكل شيء في حيـــاتهم فرع ووسيلة وآلة ، وليست غايتهـــم الوظائف (وان كانوا يشغلونها بأهلية ، ويقومون بها بأمانة ونشاط) ولا المهن

والحرف (وإن كانوا يباشرونها بيقظة وكفـــاءة) ولا الراحة والدعة والجد (وان كانوا يتمتعون به في حل وفي اعتدال) وإنما غايتهم حسن العمل إلى الله يستعملون لذلك جميع مواهبهم ويركزون فيه قواهم وجهودهم ،ويعملون لذلك على اختلاف أذواقهم وفنونهم ، ومهنهم وفرصهم .

ثم ليعرفوا كرامتهم وقيمة علمهم، ولا يهينوا أنفسهم، ولا يبيعوها بيع السلع وبيع المناداة (بالمزاد العلني) فيبيعوا أنفسهم لكل من يقومها ، ولكل من يزيد في الثمن ، كائناً من كان ، وليحـــاربوا مركب النقص في نفوسهم ، وليذكروا قول الشاعر العربي حاتم الطائي :

ونفسك أكرمها فانك إن تهن
عليك فلن تلقى من الناس مكرماً

وقول الطغرائي :

غالي بنفسي عرفاني بقيمتها
فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

فلا يضعوا أنفسهم إلا أشرف موضع يقدرون عليه من غير تكبر ولا أنانية ، ولا يستعملون مواهبهم إلاّ في الوجه

الذي يليق بها ، ويعتزوا بدينهم ولا يخجلوا من الظهور به والانتساب إليه والقيام بواجباته ولهم عبرة في كثير من كبار رجال العصر الذين فاقوا الأوروبيين في ثقافتهم وأدبهم ودراستهم ، وجاهدوا بالدين ، وانتقدوا الحضارة الغربية في شجاعة وصراحة ، وظهروا في مظاهر الدين .

التشبع بروح الدعوة والاختلاط بالشعب : إن النقطة المهمة الثانية هي : التشبع بروح الدعوة والاختلاط بالشعب ، وقد ظهر أن أمة أو جماعة ليس فيها روح الدعوة ، والتقدم ، والهجوم ، لا تحافظ على وجودها ، وعلى مبدئها وعقيدتها،وإن موقف المدافع موقف الضعيف المعرض للخطر ، وكل من لا يكون داعياً يكون هدفاً لدعوة أخرى ، وقد ثبت بالتجربة أن خير وسيلة للإيمان بالمبدأ والثبات عليه ، ومتانة العقيدة والإستماتة في سبيلها، هي الدعوة إليها، فالداعي دائماً قوي الايمان بمبدئه متحمس في عقيدته ، ونشيط في عمله ، مستهين بغيره ، فإذا أردنا أن توجد في طلبتنا هذه الصفات ، وأن يخرجوا من الخطر على دينهم ، ونأمن عليهم الاندماج في غيرهم ، والوقوف في المعسكر المخالف فينبغي لنا أن نجعلهم دعاة، فإذا

أردنا أن نجعلهم متدينين ، فينبغي لنا أن نجعلهم دعـاة إلى الدين .

وقد جربنا ذلك في الهند فنجحنا نجاحـــاً باهراً ، فطلبة كليات الحكومة ، والكليات المختلفة ، والجامعات المدنية، لما خرجوا في القرى والضواحي يدعون إلى الله ، ويلقنون المسلمين مبادىء الاسلام ، ويوقظون فيهم روح الدين ، رأينا الحماسة الدينية فيهم تزداد اشتعالاً كل يوم ، وروحهم تقوى ، وهم في تقدم مستمرّ في الديانة والصلاح ، حتى فاقوا في حماستهم الدينية ونشاطهم وإيمانهم بالدين ، بل في الجرأة الدينية على أبناء المدارس الدينية ، التي لا يختلط طلبتها بغير المسلمين ، ولا يقرأون العلوم العصرية، والسر في ذلـك هو الدعوة التي تجعل من الرجل غير الرجل ومن القلب غير القلب .

وبهـــذه الدعوة والرحلات والمخيّمات في سبيلها ، والاختلاط بالشعب على اختلاف طبقاته تتمكن من محاربة داء شديد ، حل جديداً بدور التعليم ورجالها ، وهو العزلة عن العالم ، الذي يعيشون فيه ، والانقطاع عن الأمـة التي هم من أفرادها ، فقـد أصبحت المدارس في حياتنا جزراً

صغيرة منفصلة عن الخارج، والناس الذين يتخرجون منها يكوّنون جزراً صغيرة أخرى،فكل فرد منهم جزيرة مستقلة يعيش في عالم الخيال ، ويسبح في فلكه الخاص ، وله دائرة من الأصدقاء والاخوان لا يتجاوزها ، ولا يعرف من آلام الأمة وآمالها شيئاً ، حتى أصبح العالم فى واد وهو في واد ، أصبحت الفجوة والجفوة تتسعان على مر الأيام حتى أصبح المتعلمون أمة مستقلة لها لغتها وثقافتها ، ونفسيتها لا يفهمها الشعب ولا يعرفها ، وأخاف أن يحتاجوا بعد أيام إلى ترجمان ، على وحدة اللغة والجنسية ، والوطنية والمدنية .

وأصبح الناس ينظرون إليهم كأجانب ، وحق لهم أن ينظروا ، وأصبحوا ينظرون إلى الناس كأميين ، ومنحطين في العقل ، والثقافة والحضارة .

وهكذا تتسع الهوّة بين الطبقة المثقفة ودهماء الناس، وليس ذلك من مصلحة أحد منهم ، ولا تنهض أمة ، ولا تعيش على مثل هذه الحال من الفرقة والإنفصال ، وبكثرة اختلاط الطلبة بالشعب في طريق الدعوة الدينية ، والتعليمية والإصلاحية ، وبكثرة ترددهم إلى القرى ،

والضواحي ، والمدن ، عصابات وجماعات ، بشكل منظم وتحت إشراف الأساتذة ، تنشأ في الطلبة روح الدين ، والجهاد والكفاح في سبيل الحياة ، ويتعودون على الشدة والغلظة في العيش ، وتنشأ فيهم كذلك روح الأخوة الصادقة ، والمحبة المخلصة ، وروح الخدمة والإيثار ، ويعرف بعضهم بعضاً ، ويخدم بعضهم بعضاً ، ويعرفون الحياة العامة وحياة القرى والبادية ، ويعرف الطلبة الحقل الذي سيعملون فيه، ويعرف أهل البلاد دعاتهم ومرشديهم ، ومعلميهم الذين سيساعدونهم ويأخذون بأيديهم ، إلى غير ذلك من الفوائد التي لا تعرف إلا بالإختبار والتجربة .

التربية البدنية : وكلمة موجزة عن التربية البدنية، والرياضة التي أهملها التعليم والتربية في بلادنا، حتى نشأ شباب رقيق ناعم ، لا صبر عنده ولا جلد ، ولا تماسك ولاثبات ، ولا غلظة ولا قوة ، وقد انحطت الشعوب الإسلامية في العهد الأخير في فروسيتها وأجسامها انحطاطاً مفزعاً يهدد بخطر عظيم .

وقد قلدنا الغربيين ، أو حاولنا أن نقلدهم في كل شيء ، إلاّ في الإهتمام بالجسم ، والرياضة البدنية ، وتربية

الفروسية ، والبطولة ، هؤلاء الإنجليز والأمريكان عندهم اهتمام زائد بالرياضة البدنية ، والجري والسباق ، وركوب الخيل ، والسباحة ، والمصارعة ، والملاكمة .

أما نحن فلم نأخذ منهم إلاّ كرة القدم،والألعاب ، فعلى وزارة التعليم والتربية في البلاد الإسلامية ، أن تعير الرياضة البدنية ، وتربية الأجسام والفروسية قسطاً لائقاً من عنايتها واهتمامها ، وتقييد المدارس والكليات بالإعتناء بهذا الشأن ، حتى ينشأ جيل متوفر العلم ، سليم العقل ، قوي الجسم قوي الإيمان ، وهو الذي يستطيع وحده أن يؤدي رسالة الاسلام والعلم والفضيلة ، ويشق طريقه في الأشواك والأخطار ، فالحياة ليست روضة من الرياض ولا نوعاً من العبث ، إنما هي جد وكفاح لا يثبت فيه إلاّ الشديد القوي .

قضية المعلمين : ولكن كلما قلناه في التعليم والتربية ، يتوقف على وجود معلمين يؤمنون بهذه المبادىء والعقائد ، والغايات ، ويخلصون لها كل الإخلاص ، ويدعون إليها بإيمان وحكمة ، وتكون حياتهم خير مثال لما يدعون إليه .

ووجود معلّم يعارض هذا النظام بفكره وعمله ؛ أو

غير مؤمن بـــه ، غير مخلص له ، كوجود لوحة نخرة في سفينة في عرض البحر ، ومعول هدام في بناء شامخ ؛ ولا ينجح نظام تعليمي ، ولا يؤتي أكله مهما كان كاملاً محكماً إذا كان المعــلمون مذبذبين ، متناقضي الفكرة ، لا تتفق حياتهم مع رسالة الدين والعلم .

إذاً فقضية اختيار المعــلمين ليست بسيطة سهلة ، كما يظن كثير من رجال المعارف ، ليس أساسه العلم وحده ، والمقدرة التعليمية ، والمؤهلات العلمية فحسب ، بل يجب أن تكون للسيرة والخلق ، والمبــدأ والغاية ، والإيمان والعقيدة ، المكانة الأولى والأهمية الكبرى في اختيـــار المعـلم .

ويجــب أن تكون هذه العقيــدة متغلغلة في الأحشاء قد ملكت عليه فكره ومشاعره ، وجعلت منه داعيــة لا يمل ، ولا يكل ، ومؤمناً لا يرتاب ولا يتشكك ، وذلــك مثل المعـــلم الكامل الذي يسعد به نظام التعليم ويؤدي مهمته بنجاح وسهولة .

أمـا بعد فإني لا أعرف أمانة أكبر مسؤوليــة ، وأشد خطراً ، وأعمق أثراً في مستقبل الأمة وحياتها ، من التربية

والتعليم ، فزلة من زلاتها ، قد تردي أمة بأسرها فيهاوية، وقد تؤدي بها إلى الاضمحلال والتفسخ ، والفوضى في الأخلاق ، والاجتماع ، والسياسة والتعليم ، واللادينية والإلحاد، كذلك يمكنها وحدها أن توجه العقول والنفوس توجيهاً صالحاً ، وتنشىء الأمة نشأة جديدة ، وتبني لها مستقبلاً باهراً ، وليس من الشرف والرجولة الفرار من هذه المسؤولية المشرفة ، بل الشرف والرجولة ، وعلو الهمة الإضطلاع بهذا العبء ، الذي ألقته الأمة على كاهلها، وأن تساهم في نهضة الأمة بالقسط الأكبر، بل تضع أساسها الذي سيقوم عليه بناء المجتمع.

صوغ نظام التربية والتعليم من جديد

نتائج تطبيق النظام التعليمي الغربي في الشرق الاسلامي:

لا يخفى على المطلع الخبير أن نظام التعليم روح وضمير كالكائن الحيّ له روح وضمير ـ كما أسلفنا في المقال السابق ـ إن روح نظام التعليم وضميره إنما هو ظل لعقائد واضعيه ونفسيتهم ، وغايتهم من العلم ودراسة الكون ، ووجهة النظر إلى الحياة ، ومظهر لأخلاقهم ، وذلك ما يمنح نظام التعليم شخصية مستقلة ، وروحاً وضميراً بذاتها ، إن هذه الروح هي التي تسري في هيكله تماماً ، إنها تسري في جميع العلوم ، في الأدب والفلسفة ، والتاريخ والفنون ، والعلوم العمرانية، حتى في علمي الإقتصاد والسياسة بحيث

يصعب تجريدها من هـــذه الروح ، وليس في وسع كل شخص أن يميز بين الصحيح والسقيم منها، وإنمـــا يتيسر ذلك لرجل أوتي من قوة الاجتهاد ، وملكة النقـد القوية ما يستطيع به أن يميز الجزء النافع من الجزء الضار،فيكون عاملاً بمبدأ « خذ ما صفا ودع ما كدر» ويفرق بين الأصل والزائد حتى يتمكن من أخذ جوهرها وروحها .

وهذا العمل سهل في العلوم الطبيعية التطبيقية ، بينما هو صعب ودقيـــق في نفس الوقت في الأدب والفلسفة ، والعلوم العمرانيـــة ، ولا سيما إذا كانت أمة تؤمن بعقائد معينة ، وتتبنى فلسفة مستقلة ، وأسلوبـاً خاصاً للحياة ، وتاريخاً مستقلاً لايعد من ألفاظ الماضي وإنما هو منـــارة نور للأجيـــال القادمة ـ وتعتبر شخصية الرسول وعهـده الأسوة الحسنة التي تفوق جميع القيم والمثل العليـــا للحياة الإنسانية ، إذا كانت أمة هذه صفتها تتبنى نظام تعليم لأمة تختلف في الأساس والقيمة والمعيار ، يحدث هنالك صراع مستمر لا يفارق هذه الأمة في أي مرحـــلة من مراحل حياتها يجر إلى بناء واحد وهدم آخر ، إلى تصديق واحد وتكذيب آخر ، إلى إجلال واحـد وازدراء آخر ، وفي

مثل هـذه الحال يجب أن يحدث هنالك نزاع عقـــلي ، وتزعزع في العقيدة ، وانحراف عن الدين ، وأخيراً قبول القيم والأفكار الحديثة مكان القيم والأفكار السالفـــة ، وذلـــك أمر طبيعي يجب أن يحدث كأمور طبعية ، لا يحول دون حدوثه حسن النية ، أو القلق ، ورغبـة الآباء والأولياء ، والاحتياطات الفرعية والخارجية، وإنما يمكن تأجيل موعده ، أو إبطاء سيره على أكثر تقـــدير ، دون تعويقه أو القضاء عليه ، كما أن الشجرة إذا نشأت وتربت وفـــق نظامها الطبيعي تؤتي أكلها وتثمر في موعدها ، أما الإنسان فبإمكانه أن لا يغرس شجرة ، ولا يسهر عليها بالتعاهد والسقي ، أو يعضدها إذا اكتملت وشبت ، ولكن ليس بإمكانه أن يقوم في وجه شجرة مثمرة خضراء ، أو يفرض عليها أن تثمر ثمر شجر آخر .

تلك هي قصة نظام التعليم الغربي ، فإنه يحمل روحاً مستقلة ، وضميراً منفرداً تتجلى فيه عقيدة مؤلفيـــه ، وعقلية واضعيه،وهو نتيجة التقـدم الطبعي في آلاف من السنين ، وتعبير عن أفكار أهل الغرب ومجموع أقدارهم وقيمهم ، فإذا طبق هذا النظام التعليمي في بلاد مسلمة ،

أو مجتمع إسلامي ، يحدث به قبل كل شيء صراع عقلي ، ثم يتدرج ذلك إلى تزعزع العقيـــدة ، والردة الفكرية ، وأخيراً إلى الردة الدينية ، وذلك طبعي لكل من يستهدف ذلك (إلاّ من عصم ربّك) وما أحسن ما كتبه أحد علماء الغرب الناقدين[1] الذي له خبرة واسعة بنتـــائج نظام التعليم الغربي في الشرق : « لقـد بسطنا في الفصول الماضية بعض الأسباب المؤيـدة للرأي القائل بأن الإسلام والمدنية الغربية ـ وهما يقومان على فكرتين في الحيـاة متناقضتين تماماً ـ لا يمكن أن يتفقـــا ، فإذا كان ذلك كذلك ، فكيف نستطيع أن نتوقع أن تظل تنشئة أحداث المسلمين على أسس غربية ، تلك النشئة القائمة في مجموعها على التجارب الثقافية الأوروبية وعلى مقتضياتها ، خالصة من شوائب النفوذ المعادي للاسلام .

ليس ثمـة ما يبرر توقعنا لذلك ، وإننـا إذا استثنينا بعض الأحوال النادرة ، التي يتاح فيها لعقل نير للغاية أن يتغلب على مادة التعليم ، فإن التنشئة الغربية لأحـــداث

---

(١) هو محمد أسد (Leopold Weiss) سابقاً .

المسلمين ، ستفضي حتماً إلى زعزعة إرادتهم في أن يعتقدوا أو أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم هم ممثلوا الحضارة الإلهية الخاصة التي جاء بها الإسلام ، وليس ثمة من ريب في أن العقيدة الدينية آخذة في الاضمحلال بسرعة بين « المتنورين » الذين نشأوا على أسس غربية ! »[1] .

ثم يقول وهو يتحدث عن أجزاء برامج التعليم الغربية المختلفة ، فيتحدث عن تدريس الآداب الغربية ، وتأثيرها في عقلية النشء الإسلامي :

« إن تعليم الأدب الأوروبي على الشكل الذي يسود اليوم الكثير من المؤسسات الإسلامية يقود إلى جعل الإسلام غريباً في عيون الناشئة المسلمة ، ومثل هذا ـ ولكن إلى حدّ أبعد ـ يصدق على التعليل الأوروبي للتاريخ العام ، إذ لا يزال الموقف القديم فيه : (رومانيون وبرابرة) يظهر بجلاء ، ثم إن لمثل هذا العرض في التاريخ هدفاً خفياً ، ذلك أنه يدلل على أن الشعوب الغربية ومدنيتها أرقى من كل شيء جاء أو يمكن أن يجيء إلى هذا العالم ، وهكذا

---

(١) الاسلام على مفترق الطرق ص ٧٣ .

يمكن خلق نوع من التبرير الأدبي لسعي الأوروبيين إلى السيطرة وإلى القوة المادية »[1] .

ويتكلم عن تأثير تدريس مادة التاريخ على النمط الغربي ، فيقول :

« أما التأثير الوحيد الذي يمكن أن يتركه مثل هذا التثقيف التاريخي في عقول الأحداث من غير الشعوب الأوروبية ، فإنما هو شعور هذه الشعوب بالنقص فيما يتعلق بثقافتهم الخاصة ، وبماضيهم التاريخي الخاص ، وبالفرص السانحة لهم في المستقبل ، وهكذا يتربون تربية منظمة على احتقار ماضيهم ومستقبلهم ، اللّهم إلاّ اذا كان مستقبلاً مستسلماً للمثل العليا الغربية » .

وأخيراً يقول بكل حماس وصراحة:

« وإذا كان المسلمون قد أهملوا فيما مضى البحث العلمي ، فانهم لا يستطيعون أن ينتظروا إصلاح هذا الخطأ اليوم عن طريق قبول التعليم الغربي من غير وازع ما ، ان كل تأخرنا العلمي ، وكل فقرنا لا يوزنان بذلك

---

(١) الاسلام على مفترق الطرق ص ٧٣ .

التأثير المميت الذي سيحدثه تقليدنا الأعمى لنظام التعليم الغربي في قوى الإسلام الدينية الكامنة ، إذا أردنا أن نحفظ حقيقة الإسلام على أنها عنصر ثقافي ، فيجب علينا أن نحترس من الجو الفكري للمدنية الغربية ، ذلك الجو الذي أصبح على وشك أن يتغلب على مجتمعنا وعلى ميولنا، وبتقليد عادات الغرب وزيّه في الحياة يصبح المسلمون تدريجاً مضطرين إلى الأخذ بوجهة النظر الغربية ، ان تقليد المظاهر الخارجية يقود شيئاً فشيئاً إلى تقبل الميل العقلي المصاقب لذلك[1] » .

وقد تكهن بهذه النتيجة بعض مفكري الغرب الذين كانوا مسؤولين عن تطبيق هذا النظام التعليمي في بلدان الشرق ، وقد كتب الكاتب الإنجليزى المعروف اللورد ميكالي (Lord Macaulay) في تقريره ، وقد كان رئيس اللجنة التعليمية (عام ١٨٣٥ م) التي قررت جعل اللغة الإنجليزية أداة التعليم لأهل الهند بدلاً من اللغات الشرقية الأخرى ، إنه يقول :

---

(١) الاسلام على مفترق الطرق ص ٧٣ .

« يجب أن ننشىء جماعة تكون ترجماناً بيننا وبين ملايين من رعيتنا ، وستكون هذه الجماعة هندية في اللون والدم ، انجليزية في الذوق والرأي ، واللغة والتفكير»[1] .

ويقرر المستشرق الكبير « جب » (Gibb) في كتابه « وجهة الإسلام » (Wither Islam) أن التجدد والتفرنج في الشرق إنما هما خاضعان لمقياس نظام التعليم الغربي ومدى سيطرته وتغلغله في المجتمع الإسلامي الشرقي ، يقول :

« والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب (أو الفرنجة) هو أن نتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي ، وعلى المبادىء الغربية ، وعلى التفكير الغربي ، والأساس الأول في كل ذلك هو أن يجري التعليم على الأسلوب الغربي ، وعلى المبادىء الغربية ، وعلى التفكير الغربي .. هذا هو السبيل الوحيد ولا سبيل غيره، وقد رأينا المراحل التي مرّ بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي، ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين

---

(١) تاريخ التعليم لمؤلفه ميجر باسو ص ٨٠ .

وقليل من الزعماء الدينيين »[1] .

يلاحظ جب أن النشاط التعليمي والثقافي (عن طريق المدارس العصرية والصحافة) قد ترك في المسلمين – من غير وعي منهم – أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد ، ثم يعقب على ذلك بقوله : « وذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الاسلامي على حضارته من آثار »[2] .

مؤامرة دقيقة لابادة العنصر الاسلامي : لقد كان نظام التعليم الغربي محاولة عميقة وخفية لابادة العنصر الاسلامي والقضاء عليه ، وانتقل مفكرو الغرب من طريقتهم الممقوتة القديمة التي كانوا يؤثرونها في إبادة الأجيال ، والفتك بها إلى هذه الطريقة الجديدة التي قرّروا صوغها في قالبهم ، فأسسوا لهذا الغرض مراكز كثيرة باسم

---

(١) الجزء الثاني من الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص ٢٠٢ .

(٢) الجزء الثاني من الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص ٢٠٤ .

الكليات والجامعات ، وقد عبر عن هذه الحقيقة التاريخية أحسن تعبير الشاعر الاسلامي « أكبر » الاله آبادي في أسلوبه الطريف الخاص ، انه يقول في بيته السائر :

« يا لبلادة فرعون الذي لم يصل تفكيره إلى تأسيس « الكليات » ، وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد ، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثة في التاريخ».

كما أوضح الفرق بين ساسة الشرق والغرب في بيت آخر يقول :

« إن أهل الشرق يقضون على العدو بشدخ رأسه ، ولكن الغربي يغير طبيعته وقلبه » ، وجاء إقبال بعده بعدة سنوات ، وقد اكتوى بنار نظام التعليم الغربي شخصياً وخاض في دراسته ، فابدى حقيقته في أسلوب أكثر عمقاً وأبعد عن التنكيت والدعابة ، يقول :

« إيّاك وأن تكون آمناً من العلم الذي تدرسه ، فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها »[1] إنه يعبر عن ذلك الانقلاب الهائل والتحويل الجذري الذي يحدثه نظام

---

(١) أرمغان حجاز .

التربية الحديث بقوله :

« إن التعـــليم هو « الحامض » الذي يذيب شخصية الكائن الحي ، ثم يكونها كما يشاء ، إن هذا « الحامض » هو أشد قوة وتأثيراً من أي مادة كيمائية،هو الذي يستطيع أن يحول جبلاً شامخاً إلى كومة تراب »[1] .

إنه يرى نظام التعليم الغربي مؤامرة على الدين والخلق كما يقول :

« إن نظام التعليم الغربي ، إنما هو مؤامرة على الدين والخلق والمروءة[2] » .

إن إقبـال من أولئك الرجال المعدودين الذين خاضوا بحر نظام التعليم الغربي، فلم يخرجوا من قعره سالمين فقط، بل وقد جاءوا معهم بدرر كثيرة ، وازدادوا إيماناً بخلود الإسلام ومضمراتـه الواسعة ، وازدادوا ثقة بنفسهم ، ولو كان من الصعب أن نحكم على إقبال أنه لم يخضـــع للتعليم الغربي ، والفلسفة الغربية في قليل أو كثير ، وأن فهمـه

---

(١) ضرب كليم .

(٢) ضرب كليم ص ٨٥ .

للدين يطابق الكتاب والسنة،وفهم السلف تماماً ،ولكن الذي لا مرية فيه أنه لم ينصهر في بوتقة الغرب كما انصهر آلاف من معاصريه ، وحق له أن ينشد في هـــذه المناسبة شعره الذي معناه :

« كسـرت طلسم العصر الحاضر وأبطلت مكـره ، التقطت الحبَّـــة وأفلتُّ من شبكة الصيّاد ، يشهد الله أني كنت في ذلك مقلداً لإبراهيم ، فقد خضت في هذه النـــار واثقـــاً بنفسي ، وخرجت منهما سليماً محتفظـــاً بشخصيتي »[1] .

أما شهادة الزعيم الإسلامي الهندي مولانا محمد علي عن التعليم الحديث وأثره ،فتحمل قيمة لا تنكر، وقد تربى في بيئة مؤمنة دينية ، ثم بدأ دراسته في أكـبر مراكز التعليم الغربي « الجامعة الإسلامية في عليكره » في الهنـــد ، إنه يقول في ترجمة حياته :

« لقد كانت الحكومة البريطانية تحمل لواء الحيـــاد الديني الكامل ، فقد أقصت دراسة مادة الدين حتى دراسة

---

(١) أرمغان حجاز ص ٧٠ .

الأخلاق تماماً من الكليات ، وطبقت هذه السياسة التعليمية عملياً في ذلك ، ولم يبق من المعلومات الدينية والخلقية إلاّ ما يتلقفه الطلاب بأنفسهم من الكتب الإنجليزية أو الكتب الدراسية ، المؤلفة بلغات الشرق .

كما ان نظرّية التعليم التي وضعتها الحكومة للشباب الهندي ، كانت « حديثة » وكانت تهدف بجميع ما فيها من عوامل هدامة إلى أن يتربى في الطالب شعور خاطىء بعلمه وكبريائه ، يقضي على قداسة الرواية والحجة والاسناد بأوهامه التي يرجع تاريخها إلى ما قبل قرون ، وممّا لا شك فيه أن هذا التعليم سبب إثارة دافع التحقيق والبحث عن الحقيقة مع مسايرته للزمان ، غير أنه كان هداماً في حملته على الديانة والأخلاق ، أما ما أعطاه بدلاً ممّا قضى عليه من « الأوهام الدينية » (كما يقول الغربيون) فلا يقوم أيضاً إلاّ على أساس من الأوهام والعقائد الخرافية ، ولكن هذه الثقافة التي يتزود بها الطالب كانت حديثة لا شك[1] » .

---

(1) My Life, A. Fragment, P. 23 - 24 .

مصدر حركة التحرر والاباحية : إن مؤلف « الإسلام في التاريخ الحديث » (W: C: Smith) الذي يحمل معلومات جديدة حول نزعات العالم الاسلامي وطبقاته المختلفة ، يعترف بالتأثير العقلي العميق الذي يتركه التعليم الغربي الحديث ومراكزه في العالم الإسلامي ، إنه يقول وهو يتحدث عن حركة التنوّر والتسامح في العالم الإسلامي (Liberalism) :

« إن من أهم أسباب حركة الحرية والإباحية التي تسود اليوم في العالم الاسلامي ، ومن أكبر عواملها نفوذ الغرب، فقد بلغت هذه الحركة أوجها في أوربا من أواخر القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى ، وهكذا شأن نهضة أوربا وتقدمها ، وقد سافر كثير من الشباب المسلم إلى الغرب ، واطلعوا على روح أوربا وقيمها وأعجبوا بها إلى حد،وينطبق هذا بخاصة على الطلاب الذين درسوا في جامعات أوربا بعدد لم يزل يزداد مع الأيام،وهم الذين سبّبوا استيراد كثير من أفكار الغرب وقيمه إلى العالم الاسلامي ، وقد حازت قصب السبق في هذا المضمار تلك المعاهد الثقافية التي قامت بتربية جيل بأكمله على النمط الغربي

الحديث ، وكان ممّا صدّره الغرب إلى العالم الاسلامي تلك الأفكار المتعددة الجديدة التي تقع من الأهمية والدقة بمكان، والاتجاهات العقلية الدقيقة الفجة ، الميول الحديثة التي كان في نشرها أوفر نصيب لنمط التعليم الغربي الحديث ، ويفوقها في ذلك تاثير معاهد الغرب الحقوقية والسياسية ، والاجتماعية الجديدة ، ونفوذها الزائد ، ومنها ما يسلّط إجباراً ، وما يحاول تسليطه ، وبينما قام بعض المسلمين لمقاومة هذا التيار رحب به البعض الآخر ، إن بعضهم قد وقع تحت تأثير هذه التربية رسمياً ، وبعضهم قد رحب بهذا التيار بدافع من أنفسهم ، وأنتج ذلك أن كثيراً من المسلمين اعترفوا بهذه النظريات والمعاهد كحقيقة ثابتة ، وخضعوا لها بالتدريج ، وهكذا استمر عمل التغريب بسرعة وقوة بالغتين[1] » .

لقد جرف تيار نظام التعليم الغربي الشباب الإسلامي في البلاد العربية والعجمية(الذين كانوا زبدة أمتهم وزهرة بلادهم) وغيّر عقليتهم إلى حدّ أن عقولهم أصبحت لا

---

(١) المصدر المذكور ص ٦٤ .

تستطيع أن تسيغ الإسلام الصحيح ، وأصبحوا لا يندمجون في المجتمع الإسلامي أيضاً ويصبحون جزءاً منه ، ويشير إلى ذلك « إقبال » بقوله :

« إن سحر الافرنج أو فنّه أذاب الصخور وأسالها ماءاً » .

ظلال التفكير الغربي في الجيل المثقف الحديث :

إن الالحاح على كون الدين قضية شخصية لا علاقة لها بالدولة والحكم ، والمعاملة مع الاسلام كمعاملة الكنائس المسيحية ونظرية فصل الدين عن الدولة ، والاعتقاد بأن الدين عائق في سبيل النهضة والاكتشافات والتحقيق ، وإقامة علماء الاسلام في صف ممثلي الكنيسة المسيحية الذين كانوا يملكون السلطة المطلقة في العصور المتوسطة ، وإعطاء المرأة حق الاسهام في جميع أمور الحياة في كفاحها ، والخروج مع الرجل متكاتفة متساوية ، وجعل الحجاب ـ في أي شكل كان ـ تذكاراً لنظام الحرم القديم في الشرق وعلامة استبداد الرجل بالمرأة ، والقضاء عليه خطوة أولى نحو الاصلاح والتقدم ، والاعتقاد بأن قانون الوراثة والنكاح والطلاق اجتهاد فقهاء المسلمين في العصور المتوسطة

ونتيجة طبيعية للمجتمع البدائي المحدود الذي وجـــد في القرنـــين السابع والثامن الميلاديين ، وإدخال التغيير والاصلاحات في ذلك المجتمع وصوغـــه في قالب المجتمع الغربي بتطبيق المبادىء الغربية ومعاييرها عليه ، فريضة الساعة وواجب الوقت ، وصرف النظر عن الربـا والخمر والميسر ، وعن العلاقات الجنسية المنطلقة، والايمان بالقومية والاندفاع نحو إحيـــاء الحضارات القديمة واللغـــات العتيقة ، والايمان بأهمية الخط اللاتيني وفوائده ، كل هذه النزعات والاتجاهات وما أشبهها التي تحتل محل الحقائق الثابتة لدى الجيل المثقف، وتعد من أمارات التنور والنهضة والتقـــدم ، كل ذلك نتيجة نظام التعليم الغربي وبيئته الفكرية ، وجوّه العلمي والعقـــلي ، وتراثه التاريخي ليس غيره .

إن القادة وولاة الحكم في البلاد المسلمة ، كلهم إنتاج نظام التعليم الغربي ووليد حضارته ، أما الذين لم يتح لهم أن يثقفوا في بلد أوربي وينشأوا في بيئته ، فإنهم تعلموا في مراكز هذا التعليم في بلادهم ، وتثقفوا بها تحت إشراف ممثليـــه الكبار ورقابتهم ، إن بعضهم تخرّجوا من الكليات

الحربية التي يعنى فيها بالتعليم الغربي والتربية الغربية عناية فائقة .

وذلك هو السرّ في أن العالم الإسلامي اليوم يتأرجح بين عقليتين ، وفلسفتين، ووجهتين مختلفتين ، تتصارعان دائماً ، وهذا الصراع ينتهي في أغلب الأحوال بانتصار فئة هي أكثر قوة وأكثر تسلحاً ، إنه صراع طبيعي ، وهو إن استحق الأسف فلا يستحق الاستغراب أبداً ، بل كان موضع الدهشة والاستغراب إذا لم ينشأ هذا الصراع ، ولم توجد هذه النزعة إلى التجدد و « التغريب » .

الحاجة الى موضوع جديد : وحل هذه المشكلة ـ مهما تعقد وطال واحتاج الى الصبر والمثابرة ـ ليس إلاّ أن يصاغ هذا النظام التعليمي صوغاً جديداً ، ويلائم بعقائد الأمة المسلمةومقومات حياتها وأهدافها وحاجاتها، ويخرج من جميع مواده روح المادية والتمرد على الله والثورة على القيم الخلقية والروحية ، وتعبد الجسموالمادة ، وينفخ فيه روح التقوى والانابة إلى الله ، وتقدير الآخرة ، والعطف على الانسانية كلها ، فمن اللغة والآداب إلى الفلسفة وعلم النفس، ومن العلوم العمرانية إلى علوم الاقتصاد والسياسة

لا تسيطر على كل ذلك إلا روح واحدة ، يقصى استيلاء الغرب العقلي ويكفر بإمامته وسيادته ، وتجعل علومـه ونظرياته موضوع الفحص والدراسة الجريئة ، ويوضـح ماذا جنى نفوذ الغرب وسيطرته على الانسانية والمدنيـة ، وتدرس علومه بشجاعة وحرية ، وتعتـبر كمواد خامة (Raw Material) نصنع منه ما يوافق حاجاتنا ورغباتنا، وعقيدتنا وثقافتنا .

إن هذا العمل ولو كانت في طريقه عقبات وعراقيل ولو تأخرت نتائجه ، ولكنه حلّ وحيد للموجة الطاغية التي قـد اكتسحت العـالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، موجة التجدد والتغرب التي تتحدى الكيـان الفكري للإسلام وجهازه الاجتماعي ، وظلت تهدد حياته وبقائه ، ونتيجة لذلك،أصبحت عاطفة الشعوب المسلمة وتضحياتها وجهودها وإخلاصها ووفاؤهـا (التي هي السبب المباشر الأساسي في انشاء الحكومـات الإسلامية ، وتحرير البـلاد المستعمرة) وقوداً حقيراً في نار التجـدد والتغرّب ، وأصبحت الجماهـير المسلمة ، السليمة المخلصـة ، المتحمسة

الصامتة قطعاناً من الغنم يحكم في رقابها هؤلاء القادة والولاة ، وتساق إلى أي هدف في صمت وهدوء .

لقد كان السرُّ في نجاح الحكم الانجليزي في الهند ، واستمرار طبقة الضباط ، والموظفين الكبار والحكام الذين ربوا تربية غربية خالصة،ونشأوا على الطاعةوالنظام إنهم وضعوا نظام هذه البلاد ، ومارسوه مائة سنة حسب رغبة ولاتهم الأجانب ، وفكرتهم وثقافتهم ، فالطريق إلى تغيير اتجاه البلاد الاسلاميةوالعودة بها إلىالحياة الاسلامية أن يُهتم بتعليمهذه الطبقة الاسلام ،وتربيتها على أسس الاسلام ، فإنها الطبقة التي تتحكم في البلاد، وأن نصلح نظام التعليم الذي يخرج هؤلاء الأشخاص .

هذا التغيير الجذري لنظام التعليم وتكوينه الاسلامي أمر لا غنى عنه، ولكنه يحتاج إلى وقت طويل ، ويحتاج إلى مواهب ومؤهلات عظيمة ، ووسائل كثيرة [١] .

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية » ص ١٧٧ ـ ١٩١ (الطبعة الأولى).

مأساة العالم الاسلامي الكبرى : ومن المآسي التي تحـير العقل وتجرح القلب أن تظل الأقطار الإسلامية وحدها في فوضى تعليميـة ، وغموض والتباس ، بـل في تناقض ومصارعة بين العقائد والحقائق التي تؤمن بها ، والغايات والأهداف التي خلقت لأجلهـا ، والرسالة والدعوة التي تحتضنها ، وبين نظام التعليم الذي تطبقه والنظريات التي تستوردها ، والأساتذة الذين لا يؤمنون بها ، وعلى الأقـل لا ينشطونها في تدعيمها وتنميتها ، ولا تفكر في التطبيق بين العقيدة التي تتمسك بها ، وبين التعليم الذي تنفق عليه أكبر جزء من امكانياتها ووسائلها مع أنها كانت بحملهـا الرسالة الأخـيرة، والأمل الأخير للانسانية، أجدر بهذا التطبيق وأحرص على إزالـة جميع العناصر التي تجني على شخصيتها ، ومقوّمات حياتها ، ومستقبل أجيالها ، وأغير على عقيدتها ودينها من الشعوب الغربية بما فيها من الشيوعية والرأسمالية، والتي تتناولها دائماً بالتغيير والتحوير ، وتعيش هذه الأقطار الإسلامية متطفلة على مائـدة الأمم الأجنبية والنظم الداخلية ، تقتبس منها وقد تطبقها بحذافـيرها ، ولم تفكر إلى الآن في إخضاع جهاز التعليم لرسالتها السماوية

وعقائدها الثابتة ،وعلومها المعصومة عن الخطأ والضلال ، وإزالة جميع العقبات في سبيل هذا الوئام ، والتعاون بين العلم والدين ، وتصارعه القوى المضادة والموجهون المتنافرون ويسيطر عليها الفصام النكد بين العلم والدين ، والصراع المستميت بين الحقائق الغيبيّة والمحسوسات المادية ، وبين الإيمان والشك ، وبين الإسلام والنفاق ، وبين الخلق والثبات ، والإستغلال والإنتهازية .

نداء الوقت وحاجة العالم المعاصر : وقد شعر بضرورة ذلك بعض علماء الغرب المنصفين ، فقال أحد كبار أساتذة الإسلاميات في أمريكا (Charles L. Gedder) في كلمته التي ألقاها في ١٣ مايو عام ١٩٦٦ م في كراتشى : « ان الإسلام يملك جميع الخصائص التي يستطيع أن تنشر السلام والإنسجام في العالم ، ان الغرب يؤمل من المسلمين الذين يحملون الدين الذي أنزله الله، وكان لهم ماضٍ مجيد مشرق أن يقدموا مبادىء الحياة وفلسفتها الى الغرب ، وبذلك يستطيعون أن يحملوا راية السلام التي عينت لهم في عالم الغد » .

وذلك لا يكون الاّ بإنشاء الجيل المؤمن المثقف ، الذي

يجمع بين العقيدة والعلم، ويؤمن بخلود رسالته وصلاحيتها لكل عصر ومصر ، وانها هي المنقذة للعالم من النهاية الأليمة التي ترتقبه ، ومن المستنقع الذى يتردى فيه.

وذلك لا يمكن كما لا يخفى الاّ بوجود نظام للتربية والتعليم ، يقوم على تطبيق بين العقيدة والثقافة ، وبين قوة العاطفة واشراق الروح ، والتهاب جذوة الإيمان ، وبين العلم الواسع والفكر النيّر ، ومعرفة أحدث ما وصلت اليه الأجيال البشرية من تجربة واكتشاف .

ولا بد من بدءِ عملية تطوير المناهج لهذا الغرض ، وسبك منهج تعليمي جديد ، يتغلغل في أحشائه الإيمان بالله ، ويسيطر على جميع فروعه وجزئياته ، في الأوساط العلمية في الشرق [1] .

انه مشروع ضخم ، يتطلب ثورة في التفكير ، ومغامرة في

---

(١) أضرب مثلا بما يقوم به صديقنا الفاضل الدكتور رفيع الدين (رئيس مجمع إقبال في كراتشي سابقاً) في لاهور ، وقد أنشأ لذلك مؤسسة سمّاها المؤتمر التعليمي الاسلامي ، لباكستان، (All Pakistan Islamie Education Congress)

المساعي والجهود ومثابرة تنهك القوى وتستنفذ المجهود ، ولكنه عمل تجديدي من أعمال الإصلاح والتربية ، وأكبر خدمة للاسلام والمسلمين في هذا العصر ، والذي يقوم به يستحق شكر الأجيال القادمة ، وأردد قول بديع الزمان الهمذاني ، وأقول : « انه فتح تتضاءل أمامه الفتوح ، وتثني عليه الملائكة والروح » والعالم الاسلامي يتطلع الى العملاق الذي يقوم بهذا العمل الذي يؤثر في مصير هذه الأمة بما لا يؤثر غيره [1] .

---

(١) مقتبس من المذكرة التي قدّمها المولف إلى موتمر وزاره التربية للدول العربية ، المنعقد في الكويت سنة ١٣٧٨ ﻫ .

نظرة محمد إقبال
إلى نظام التعليم العصري ومراكزه (١)

<u>نقده لنظام التعليم</u> : نظر الدكتور محمد إقبال إلى نظام التعليم الحديث، فرأى فيه مواضع ضعف كثيرة،وجوانب نقص عظيمة ، فتناولها بالإنتقاد في صراحة وشجاعة ، ولفت إليها أنظار الرجال القائمين عليها، وذكر من جنايات المدرسة ـ ويقصد بها نظام التعليم الحديث ـ على هذا الجيل شيئاً كثيراً تفيض به دواوين شعره ، يقول في بيت : « لقد خرجت من المدرسة و « الزاوية » حزيناً ، لم أجد فيهما الحياة ، ولا الحب ، ولا الحكمة ولا البصيرة » ، ويقول في بيت آخر : « أما رجال المدرسة ففاقدوا البصر ، وميتوا الذوق ، وأما شيوخ الزاوية فقاصروا الهمة ، ضعيفوا

(١) من محاضرة ألقيت في كلية دار العلوم بالقاهرة في ٢٠ جمادى الثانية ١٣٧٠ هـ .

الطلب ، قليلوا البضاعة » .

جنايات المدرسة : ومن رأي محمد إقبال ، ان التعليم الحديث قد جنى على هذا الجيل جناية عظيمة إذ اعتنت بتربية عقله ، وتثقيف لسانه ، ولم تعتن شيئاً بتغذية قلبه ، وإشعال عاطفته ، وتقويم أخلاقه ، وتهذيب نفسه ، فنشأ جيل غير متوازن القوى ، غير متناسب النشأة ، قد تضخم وكبر بعض نواحي إنسانيته وحياته على حساب بعض ، وأصبحت المسافة بين ظاهره وباطنه ، وعقله وقلبه ، وعلمه وعقيدته ، مسافة شاسعة ، بل أصبح التفاوت بين عقله وجسمه كبيراً ، فالأول ضخم كبير ، والثاني ضعيف ناعم ، وهو إذا وصف هذا الجيل ، الذي عاش فيه ، وعرفه عن كثب واتصال ، صوّره تصويراً صادقاً ، ينطبق تمام الانطباق على أبناء المدارس والشباب الجديد ، يقول :

« إن الشباب المثقف فارغ الأكواب ، ظمآن الشفتين ، مصقول ألوجه ، مظلم الروح ، مستنير العقل ، كليل البصر ، ضعيف اليقين ، كثير اليأس ، لم يشاهد في هذا العالم شيئاً ، هؤلاء الشبان أشباه الرجال ولا رجال ، ينكرون نفوسهم ويؤمنون بغيرهم ، يبني الأجانب من ترابهم الإسلامي كنائس

وأدياراً ، شباب ناعم ، رخو رقيق في الشباب كالحرير ، يموت الأمل في مهده في صدورهم ، ولا يستطيعون أن يفكروا في الحرية ، ان المدرسة قد نزعت منهم العاطفة الدينية ، وأصبحوا خبر كان ، أجهل الناس لنفوسهم وأبعدهم من شخصياتهم ، شغفتهم الحضارة الغربية فيمدون أكفهم إلى الأجانب ليتصدقوا عليهم بخبز شعير ، ويبيعون أرواحهم في ذلك ، إن المعلّم لا يعرف قيمتهم ، فلم يخبرهم بشرفهم ، ولم يعرّفهم بشخصيتهم ، مؤمنون ولكن لا يعرفون سر الموت ، ولا يؤمنون بأنه لا غالب إلاّ الله ، يشترون من الافرنج ، اللات ومناة ، مسلمون لكن عقولهم تطوف حول الأصنام ، إن الإفرنج قد قتلوه من غير حرب وضرب ، عقول وقحة ، وقلوب قاسية ، وعيون لا تعف عن المحارم ، وقلوب لا تذوب بالقوارع ، كل ما عندهم من علم وفن ، ودين وسياسة ، وعقل وقلب ، يطوف حول الماديات ، قلوبهم لا تتلقى الخواطر المتجددة ، وأفكارهم لا تساوي شيئاً ، حياتهم جامدة ، واقفة ، متعطلة » .

ويذكر محمد إقبال أن السبب في جبن هذا الجيل وضعفه الخلقي ، هو الوضع التعليمي الحاضر ، وإهماله

للجانب الخلقي ونشأة الشباب المتحللة ، يقول في قصيدة :
« لا أستغرب أيها الشباب المتعلم ! إنك حييٌّ جبان ، فإن قلبك بارد لا لوعة فيه ولا حرارة ، ونظرك غير عفيف ، إن الشباب المثقف الذي استنارت عينه بنور الافرنج قد يكون لبقاً في الحديث متشدقاً في الكلام ، ولكن عينيه لا تعرف الدموع ، وقلبه لا يعرف الخشوع » . ويرى محمد إقبال أن المدرسة هي المسؤولة عن هذا المسخ الخلقي ، وهي التي نزلت بالشباب المسلم عن مقامه الرفيع إلى المحل الوضيع ، يقول في بيت : « أشكو إليك يا رب ! من ولاة التعليم الحديث ، إنهم يربّون فراخ الصقور تربية بغاث الطيور ، وأشبال الأسود تربية الخروف »، ومن أسباب هذا الضعف النفسي هو العقل المثبّط الذي يمنع من المغامرات والمخاطرة بالنفس،ويحذّر من سوء العاقبة ، ويكبر الأخطار ، يقول في بيت : « إن التعليم قد باعدك من الجنون الذي كان ينازع العقل ، ويقول له : لا تعلل ولا تثبطني عن المغامرة، إن الأسرار التي حجبتها عنك المدرسة لا تزال مكشوفة في خلوات الجبال والصحارى » ، ومن أكبر أسباب هذا الضعف ، الذل والتقدير الزائد للمادة ، والنظر الى الوظيفة

والمرتب كغاية للتعليم ، يقول في بيت : « إن ذلك العلم سمّ ناقع للأفراد الذين ليست لهم غـــاية إلاّ حفنتان من شعير » (يعني الراتب الذي يتقاضاه الموظف) .

مآخذه على التعليم : ومن أكبر مآخذه على هذا التعليم أنه يبعث على التعطّل وحب الهدوء والراحة ، ويجعل المتعلم كالمحيط الهادىء ، لا حركة فيه ولا اضطراب ، يقول في بيت : « رماك الله أيها المتعلم بطوفان ، فإن بحرك هادىء لا اضطراب في موجه » ، وكذلك يبعث هـذا التعليم في الشباب المسلم « افرنجية » وحب الزينة ، يقول في قصيدة : « ان مقاعدك أيـّها الشبـــاب المسلم ! افرنجية وزرابيك ايرانية ، واني أكاد أبكي دماً اذا رأيتك في هـذا الترف والبذخ ، لا خير فيك ولو أصبحت ملك الدنيا مـا دمت متجرداً من قوة عليّ واستغناء سلمان » .

ومن مآخذه على هذا التعليم انه يحدث الفوضى الفكرية يقول في بيت : « إنّ المدرسة تحرر العقل بلا شك ولكنها تترك الأفكار بغير نظام وارتباط » .

ومن مآخذه على نظـام التعليم العصري والمدرسة التي تمثله وتؤدي رسالته أنها مصابة بالتقليد والجمود ، ومجردة

من الابتكار والاجتهاد ، يقول في قصيدة : « إن العالم أسير التقاليد والأوضاع، وان المدرسة منحصرة في نطاق ضيق ، يا للأسف ! إن الرجال الذين كانوا يستطيعون أن يكونوا أئمة زمانهم أصبحت عقولهم باليـــة ، وفقدت كل نشاط وجدة فاقتنعوا بتقليد عصرهم » .

إن الدكتور محمد إقبال لا يرى أن هذا الجيل حي قائم بنفسه ، ويفكر بعقله ، انه يعتقد انه ظلٌّ لأوروبا ، وان حياته عارية من الغرب ، يقول في بيت : « يتراءى لك ان الشباب المتعلم حي يرزق ، ولكنه في الحقيقة ميت ، استعار حياته من الغرب » ، ويخاطب المتفرنج ويقول : « ليس وجودك إلاّ تجلي الافرنج ، لأنك بناء قد بنوه ، هذا الجسم العنصري فارغ من معرفة النفس ، فأنت غمد محلى بغير سيف ، وجود الله غير ثابت في نظرك ، ووجودك أنت غير ثابت في نظري » .

ومن رأيه أن نظام التعليم الغربي قـــد أضعف الروح المعنوية في الشباب المسلم ، وجنى على رجولته جناية عظيمة ، فأصبح شباباً رخواً رقيقاً مائعاً أغيد ، لا يستطيع الجهاد ولا يتحمل المكروه ، يقول في قصيدة يخاطب فيها بعض

المربين : « حيا الله شبيبتك ، يا مربي الجيل الجديد ! ألق عليهم درس التواضع ، وهضم النفس مع الاعتزاز بالنفس ، والاعتداد بالشخصية ، علمهم كيف يشقّون الصخور ويُدكّون الجبال ، فإن الغرب لم يعلمهم إلاّ صنع الزجاج ، ان عبودية قرنين متواليين قد كسرت خاطرهم وأوهنت قلوبهم ، فانظر كيف تعيد الثقة الى نفوسهم ، وتحارب الفوضى الفكرية » ، وكان لا يغتفر هذه الجريمة يقول في موضع آخر : « أنا لا أقيم لذلك العلم وتلك الحكمة وزناً ، الحكمة التي تجرد المجاهد من سلاحه وتجعله أعزل ضعيفاً» .

مهمّة التربية والتعليم
في المملكة العربيّة السعوديّة والجزيرة العربية [1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أيها السادة :

إنني أشكركم من أعماق قلبي على هذه الفرصة الكريمة التي أتحتموها لي للتحدث في موضوع التربية والتعليم في هذه البلاد المقدسة ، وعلى هذه الثقة الغالية التي وضعتموها في شخصي الحقير ، وذلك إن دلّ على رحابة صدوركم

---

(١) محاضرة ألقيت في قاعة جامعة الرياض ، وقد حضرها معالي وزير المعارف للمملكة العربية السعودية وعدد ، كبير من أصحاب الإختصاص في التربية والتعليم ، وأساتذة الكليات ، ورجال المعارف ، والمثقفون الكبار في العاصمة ، وذلك في ٢٢ شعبان ١٣٨٨هـ ٠ ١٣ من نوفمبر ١٩٦٨ م .

وسعة قلوبكم وشدة عنايتكم بالموضوع وإيمانكم بقيمة التعليم النبوي القائل « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » فإنه يدل كذلك على وجهة نظركم إلى هذا البلد واعتباره الوطن الإسلامي الأول للمسلمين ، الذي يتحتم على كل مسلم الاهتمام بشئونه وبذل أفضل ما عنده من علم وتجربة وتفكير ، واعتصار أحب ما عنده من عقل وقلب وضمير .

إنني في هذا الموقف الشريف الذي أقفه الآن أواجه صراعاً نفسياً ، فإنه يجاذبني عاملان متناقضان قويان ، أما العامل الأول فهو عامل السرور والإعجاب ، والتقدير والاعتراف ذلك لأنني إذا نظرت إلى الشبكة الدقيقة الواسعة من الكليات والثانويات والمدارس الابتدائية التي مدّت على هذه الجزيرة المترامية الأطراف ، والتي لم يفلت منها مدينة كبيرة ولا قرية صغيرة ، وإذا نظرت إلى هذه الموازنة الضخمة الهائلة التي خصصت لنشر التعليم والثقافة في هذه المملكة ، والتي يحق لكل حكومة راقية عصرية أن تفتخر بها ، وإذا نظرت إلى عدد الأساتذة والمعلمين الذين جلبوا ولا يزالون يجلبون من الخارج ، ويتمتعون

من وزارة المعارف ومن المشرف عليها الوزير العالم بكل تقدير واحترام ، وما يتمتع به الطالب السعودي في كل مرحلة من مراحل التعليم من تسهيلات ومرافق وأنواع من التشجيع ، وما يصحّ أن يسمى عطف الآباء ورعاية الأمهات ، مما يندر وجوده في كثير من الأقطار الشرقية والغربية ، وإذا رأيت كفاح المملكة – عن طريق وزارة المعارف – في محاربة الأميّة ،وإذا قارنت بين عنايه حكومة الأتراك والاشراف بموضوع التعليم في هذه البلاد وبين عناية هذه الحكومة بهذا الموضوع ، وإذا قارنت بين نسبة المتعلمين في تلك الحكومات ونسبة المتعلمين في هذه الحكومة غمرتني موجة من السرور والإعجاب . ولم يسعني إلاّ الاعتراف بعظمة هذا المشروع التعليمي العملاق الذي نهضت به المملكة العربية السعودية في هذا العصر ،ووقفت أمام هذا الصرح التعليمي الهائل مشدوهاً ذاهلاً لا أملك سوى الاعتراف بالأمر الواقع ، والثناء العاطر على ولاة الأمر . ومن يرجع إليهم الفضل في تحقيق هذه المأثرة الجليلة .

إن المسافة الطويلة الشاسعة التي قطعتها المملكة

العربية السعودية في مدة قصيرة في مجال التربية والتعليم وفي حقل العلم والثقافة ونشر الكتابة والقراءة في الجهال والأميين الذين كانت تزخر بهم المدن ـ فضلاً عن البوادي والقرى ـ قبل عقود من السنين ، وأن أفواج المتخرجين في المدارس والمتعلمين في الجامعات الغربية والحائزين منهم على شهادات عالية والمتخصصين منهم في مواد دراسية متنوعة والحاذقين منهم لعدة لغات أجنبية ، إن كل هذه الحقائق تثير العجب والإعجاب بمآثر هذه الحكومة وجهود وزارة المعارف . وهو العامل النفسي القوي الذي يملأ جوانح النفس ويوشك أن لا يدع مجالاً للتفكير في موضوع آخر ولا يسمح إلا بالتهنئة الحارة وبالشكر الخالص .

إنني إذا وقفت في بلد قد قفز إلى الوجود في طرفة عين ، ودخل في مصاف الأمم المتمدنة بين عشية وضحاها ، وانتقل من طور البداوة إلى طور الحضارة من غير (ذاتية) يعتز بها ، ومن غير رسالة ينوء بها ، ومن غير عقائد ومبادىء مخصوصة يؤمن بها ويرتبط بها ارتباط الجسم بالروح واللفظ بالمعنى ، ومن غير دعوة يعرف بها وتعرف به ، ومن غير تاريخ وماض يستلهم منها المعاني الشريفة ،

ويستمد منهما الثقة والقوة ، لو وقفت في مثل هـذا البلد الوليد الجديد الذي لا يتصل بالحياة ولا بالأمم المعـاصرة ، ولا بالقضايا الإنسانية إلاّ عن طريق البطون والمعدات ، وعن طريق الحرف والصناعات ، وعن طريق اللغـة واللهجات ، وعن طريق النقوش والكتابات ، وعن طريق الحكومة والسفارات ، لكان هذا هو العامل الوحيد الذي يتحكم في عقليتي ويسيطر على حديثي .

أما العامل الثاني ، فهو الحذر والإشفاق ، وقد ظـل الحب الخالص مصدر الحذر والإشفـاق دائماً ، ورافقته الغيرة في كل زمان ومكان ، وذلك أن هـذه الجزيرة ذات شخصية فرضتها عليهـا الحكمة الإلهية قبل مئات من السنين ، واقترنت بها اقتران الطبيعـة والمزاج بفرد أو جماعة ، ورافقتها في رحلتها التاريخية الطويلة الشاقـة المستقيمة الهادئة أحياناً ، والمنعطفة الملتويـة أحياناً من غير أن تفارقها أو أن تتخلف عنها ، ولو فترة قصيرة من الزمان . وقد ساعدتها على ذلك جميع العوامل التاريخيـة والطبيعية والخلقية والاجتماعيـة ، وألحت على أن تحتفظ بها وتستقيم عليها ، وهي ذات رسالة اختارها الله لهـا

واختار الجزيرة لها وارتبطت مصلحة كل واحدة منهما بالأخرى ، وأصبحت محاولة تجريد كل واحدة منهما عن الأخرى محاولة أثيمة إجرامية ، فضلاً عن أنها محاولة غير طبيعية ومخفقة دائماً .

وقد منحت هاتان الحقيقتان التاريخيتان الطبيعيتان هذه الجزيرة مركزاً رئيسياً في كل فترة من فترات التاريخ، ووضعتها في محل القيادة والتوجيه والإشراف والحسبة ، ورفعتها عن مستوى التقليد والاتباع والتمثيل والمحاكاة والتلمذة والتطفل ، ومجرد التنفيذ والتطبيق والاقتباس والتلقين،وفرضت عليها بطبيعة الحال الأصالة والاستقلال، سواء في الأساليب المدنية ، أو المناهج التعليمية . فليست قضية هذه البلاد التعليمية من البساطة والسهولة بالمكان الذى يتصوره كثير من رجال التربية والتعليم ، ولا يقاس النجاح فيها والتغلب على مشاكلها بانتشار مجرد القراءة والكتابة في الجمهور ،وكثرة وجود مدارس البنين والبنات، وقيام عدد ضخم من الثانويات والكليات ونشوء بعض الجامعات ، وكثرة عدد المتخرجين فيها ، والقاصدين إلى عواصم الأرض للتوسع في الدراسات العليا والعائدين منهم

بنجاح باهر، والشاغلين منهم للمراكز الادارية والتعليمية الرئيسية ، فذلك مقياس يمكن أن يكون لبلد مغمور من بلاد أفريقيا التي دخلت في حلبة المدنية العصرية حديثاً .
وقد أبى اليابان البوذي وأبت الهند البرهمية أن تتخذه المقياس الحقيقي أو الهدف الأسمى من نشر العلم والثقافة ومحاربة الأمية والجهالة وألحتا على أن يكون هذا التعليم وهذه الثقافة مصطبغين بصبغتهما الحضارية الخاصة ، وفلسفتهما العريقة في القدم ، خاضعين للأسس الفكرية والجذور العميقة التي تؤمنان بها وتعضان عليها بالنواجذ.
وإضافة إلى ذلك فالبلاد السوفيتية التي رفضت الأديان قاطبة ، وقطعت شوطاً بعيداً في حرية الرأي ، وشاع عنها أنها تمنح كل إنسان حق الأخذ بما يحب ويختار ، وخلعت ربقة القيود والحدود ، وحاربت فكرة تقديس جميع أفراد البشر وفيهم الأنبياء والرسل والزعماء الروحيون ، وقادة الفكر وأصحاب المدارس الفكرية ، وأنكرت الاحتكار بكل أنواعه ومظاهره إن هذه البلاد لم تأخذ بمبدأ التعليم والتربية من حيث هو مبدأ إنساني عالمي وتراث بشري مشاع ، وماء صاف سائغ لا يتلوّن

بلون ، ولم تسمح باستيراد منهج من مناهج التعليم في خارج المعسكر الشيوعي، ولا بإدخال العلوم والآداب التي نشأت في حضانة المربين البورجوازيين أو الارستقراطيين ـ كما تقول اللغة السوفيتية ـ والتي طعمت بأفكارهم و نزعاتهم وطرق تفكيرهم ويخاف منهـا إضعاف العقيدة الشيوعية أو التشكيك فيها . إن روسيا هذه التي حملت رايـــة التحرر والثورة على كل تقليد وتقديس وتحديد وتقييد ، قد أخضعت جميع العلوم والآداب النظرية منها والتطبيقية حتى علوم الطبيعة والجغرافيا والتاريخ لمبادئها الشيوعية ، ولنظريات قادتهـا ومؤسسي دعوتها « كارل ماركس » و « انجلس » و« لينين » وربطت بين هذه العلوم وبين أسس أولئك القادة رباطاً وثيقاً مقدساً ، تغار عليه غيرة المؤمنين القدامى على عقائدهم وحرماتهم وغيرة العرب الأولين على عرضهم وأهلهم، ويعلنون ذلك من غير أن يأخذهم في ذلك حياء أو تردد .

ونكتفي هنا بشهادة واحدة لأحد أئمة التربية في البلاد السوفيتية، يقول عالم طبيعي من كبار علماء البلاد السوفيتية M. C. Govern « أن العلم الروسي ليس قسماً من أقسام

العلم العالمي ، إنه قسم منفصل قائم بذاته ، يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف . فإن سمة العلم السوفيتي الأساسية أنه قائم على فلسفة واضحة متميزة ، إن التحقيقات العلمية لا تزال في حاجة إلى أساس وأن أساس علومنا الطبيعية الفلسفة المادية التي قدمها (ماركس) و (انجلس) و (لينين) و (ستالين) ، إنا نريد أن نخوض - وفي أيدينا هذه الفلسفة - في معترك العلم الطبيعي ونصارع جميع التصورات الأجنبية التي تناهض فلسفتنا المادية والماركسية بكل حزم وقوة » .

وهكذا استطاعت أن توفق بين العلوم التي احتاجت اليها والمبادىء التي آمنت بها وتجعل منها وحدة متكاملة متناسقة ، ولم تترك فجوة بين الحياة التي تعيشها أو تسعى اليها وبين المبادىء التي تؤمن بها وتدعو اليها بحماسة وقد حاربت في سبيلها حرباً شعواء، وسلمت بذلك من الاضطراب الفكري والقلق النفسي الذي يسود في عالم تتوزعه القوى المتناقضة ويسوده النفاق والتناقض .

وكذلك البلاد الرأسمالية وإن اشتهرت في العالم بمبدأ التسامح الديني والحرية المطلقة في المذاهب والآراء ،

والاستفادة من كل مصدر ومن كل انتاج بشري في مجـال العلم والتجربــــة ، إن هذه البلاد كذلك لا تسمح بالمواد الأجنبية والمنـــاهج التعليمية التي تبذر بذور الشيوعية والاشتراكية المتطرفة ، وتستهزىء بفكرة الملكية وتثمير الثروة وتنظيمها على غير أسس الشيوعية الماركسية ، ولا تسمح ولا تفكر في استيراد أقل عدد من الأساتذة من البلاد السوفيتية مهما بلغوا في البراعــة والإبداع ، والتفوق في العلوم والفنون ، ولم يقف الأمر على هذا الحد بل قد أصبح قادة التربيــــة والتعليم في الغرب لا يرون استيراد منهج تعليمي من بلد إلى بلد ولو كانا يلتقيان على العقيدة والفكرة الأساسية في الاجتماع ،والنظرة الواحدة إلى الإنسان والحياة والكون . فلا تفكر انكلترا في استعارة المنـاهج التعليمية والنظريات التربوية من فرنسا ولا فرنسا من انكلترا ـ وهما الحليفتان في الحروب والزميلتان في الصلح ـ فضلاً عن أن تقتبسا هذه المناهج من المانيا المنافسة الدائمة لهما،البغيضة القديمة اليهما .

وقد جمعت اللغة الانجليزية والثقافـة الانجلوسكسانية والمصالح السياسية الكثيرة ، والزمالة المتكررة في حربين

عالميتين ، والمشاركة في الدم والنسل إلى حد كبير بين الشعب البريطاني والشعب الاميركي ، وساد في البلدين المذهب البروتستانتي فهو مذهب الأكثرية الساحقة في هذين البلدين ، ولكن رغم هذه الالتقاءات كلها لا يرى الموجهون لسير التربية والتعليم والواضعون لسياستها في أمريكا استيراد مناهج التعليم وموادها من بريطانيا ومن رأيهم أن النظام التعليمي ليس من البضائع التي تستورد من بلد إلى بلد ، كالمصنوعات أو المواد الخام أو مرافق الحياة.
يقول الأستاذ الأميركي الدكتور (Dr. J. B. Conant) في كتابه التربية والحرية (Edncation and Liberty) :
« إن عملية التربية ليست تعاط وبيع وشراء ، وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل ، إننا في فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الانجليزية والأوروبية إلى بلادنا الأمريكية » .

إن التربية — أيها السادة — في نظر هؤلاء القادة الذين يغارون على شخصية وذاتية بلادهم — لباس يفصل على قامة هذه الشعوب وملامحها القومية وتقاليدها الموروثة،وآدابها المفضلة وأهدافها التي تعيش بها ، وتموت في سبيلها : إنه

لباس يجب أن ينسجم مع أجوائهـــا و بيئاتها التي تعيش فيها ، والآداب والعادات التي تحتضنهـــا والتاريخ الذي تغار عليه والنماذج والمثل العليا التي تعشقها و تتغنى بها ، ونحن المسلمين بالأولى يتحتم علينـــا أن نجعل عقائدنا التي جاءت بهـــا النبوة الأخيرة ، والدين الذي لم تعبث به يد التحريف والمسخ ، ولم يخضع لقانون التطور والارتقاء ، كما خضعت له الديانات الاخرى وعدلتها وهذبتها التجارب، كما دل على ذلك تاريخ هذه الديانات وهي خاضعة لهـــذا القانون ، ولهذه العوامـــل الإنسانية دائماً ، ولا تتمتع العقائد عندها ولا الحدود الفاصلة بين الكفر والإيمان ، والدين والزندقة ، والتمسك والتحلل بالأهمية والسلطان، كما تتمتع عقائدنا الدينية. و ليس لديهم بين الكفر والإيمان ما لدينا من خطوط فاصلة ، و حدود حاسمة وفوارق واضحة لا تسامح فيها أكبر شخصية،و لا تراعى فيها أكبر مصلحة، فالديانات والعقائد في أمم أخرى رقيقة مائعـــة أحياناً ، مُبهمة غامضة أحياناً أخرى.و كذلك الشخصية الإسلامية فإنها شخصية واضحة الملامح ، معلومة الحدود ، والجزيرة العربية لا تشارك الشعوب الإسلامية في العقائد الدينية ،

والشخصية الإسلامية فحسب ، بل إنها تنوء بأكبر أثقالها ، وتنهض بأعظم مسئوليتهـا من حيث هي الداعية الأولى لها ، والمحافظة الدائمة عليها ، فهي مصدر الدعوة الإسلامية ومعقلها ومأرزها . وقد جاء في حديث صحيح (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرهـا) فنحن أولى بالغيرة على عقائدنا الدينية ، وشخصيتنا الإسلامية ورسالتنا الانسانية، في كل ما نأخذ وما ندع ، وفي كل ما نبني ونهدم، وفي كل ما نقتبس ونتلقى ، من أي شعب وبلد في العالم ، فنحن أولى بأن نفصّل لبـــاس التربية والتعليم والمناهج الدراسية والمواد العلمية على قامتنا ، وأن نخضعها أكثر من أي أمة وشعب لمبادئنا ، وأهدافنا التي نعيش لها والرسالة التي أكرمنا الله بها ، وكلفنا إبلاغها إلى الإنسانية كلها ، في كل عصر ، بقوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكـــر وتؤمنون بالله » وقوله : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » فيجب أن لا نتنـــاول العلوم والآداب والمناهج التعليمية ونظريات التربية التي ظهرت في الغرب والشرق على أنها آخر ما وصل اليه العلم البشري، وأنها شيء يتحتم على

الأمم الشرقية أخذه وتطبيقه على علاته وطبائعه ، وعلى ما التصق به من عناصر محلية أو عوامل وقتية،بل نأخذها على أنها تجارب بشر يخطىء ويصيب ، ويمشي ويتعثر ، ويبصر ويعمى ، ولا نأخذ العلوم والآداب واللغات على أنها أشياء قد بلغت نهايتها ، وختم عليها بختم لا يفض بل نأخذها على أنها مواد خامة ، ونصنع منها ما نشاء وفق حالتنا وحاجتنا ، ونفرغها في قالبنا ، و نجرّدها مما اقترن بها ـ في غير لزوم ولا مبرر ـ من عوامل الإلحاد والإفساد، والاستخفاف بالقيم الخلقية، و نأخذها نقية صافية مهذبة منقحة ، بل نطعّمها بالإيمان بالله والنظر العميق ـ المؤسس على الايمان ـ إلى الكون ، و هكذا نجعل العلوم والدراسات كلها في غير تعسف و لا إرهاق ،وسيلة للعلم و الحكمةوسبيلاً إلى الايمان و المعرفة فتكون مصداقاً لقوله تعالى : « ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً » وقوله تعالى « إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ » .

إنها أُعظم تجربة في العالم الاسلامي اليوم ، تقضي بها الظروف الحاضرة ، ويفرضها الصراع القائم بين العلم

والدين ، وبين الطبقة المثقفة الحاكمة ،وبين الجمهور المؤمن السليم وأن هذه الجزيرة ـ بما هيأ الله لها من الأسباب وأتاح لها من الفرص وقيض لها من حكومة انبثقت من دعوة دينية تدعو إلى الدين الخالص وتحكيم الكتاب والسنّة وتفتخر بالانتساب إليهما ـ إن هذه المملكة لهي خير حقل ومجال لهذه التجربة المباركة .

ولم تعد التربية والتعليم غاية في الأمم التي بلغت سن الرشد واستكملت الوعي،وتحررت من رق العبودية والتقليد الأعمى ، بل أصبحت وسيلة،وقد كان العالم في دور طفولته العقلية ينظر إلى أشياء كثيرة على أنها غاية وهدف، ثم أصبح كل ذلك ـ مع تقدم العقل البشري والتجارب الطويلة ـ وسيلة لغاية ، فلا غرابة إذا كان قد نظر الى التربية والتعليم والى المدارس ومراكز الثقافة والمكتبات ودور النشر باعتبارها غاية،ولا تزال هذه العقلية الطفولية شائعة مسيطرة في الشرق ، فنحن إذا علّمنا عدداً كبيراً من أفراد الشعب فن القراءة والكتابة ، واذا أسسنا عدداً من المدارس والكليات في بلد ، شعرنا بأننا قد أدّينا الرسالة وحققنا الغاية .

ولكن الغرب الذي هام بالتعليم أكبر هيام، وحمل رايته خفّاقة في العصر الأخير ، واشتهرت أكثر دوله وأقطاره بالعلمانية وبالحياد تارة ، وبالالحاد تارة أخرى ، لم يعد ينظر إلى النظام التعليمي وإلى المناهج التعليمية ، من حيث هي آلات صماء لتعليم القراءة والكتابة ، ونقل المعلومات مبعثرة لا تربط بينها وحدة ولا تجمعُ بينها غاية ، ولا يسيطر عليها إيمان وعقيدة ، ولا تصل الجيل الحاضر بالماضي ، والأبناء بالآباء ، بل بالعكس من ذلك أصبح ينظر الى النظام التعليمي من حيث هو قنطرة تصل بين الحاضر والماضي ، والخلف بالسلف ، والمعلومات بالعقائد وتدعم العقيدة الموروثة بالعلم والمنطق ، والدليل والحجة ، ويعتبر هذا النظام التعليمي الذي ينفق عليه أكبر جزء من ثروته ، وأعظم قسط من مجهوده ، وأوفر نصيب من ذكائه ، عملية بناء وتكوين ، لا عملية هدم وتوهين ، ووسيلة ثقة بين الأفراد ورباطاً بين الجماعات لا وسيلة ثورة في الأفكار ، واضطراب في النفوس ، وتفكك في العرى والقوى .

وهنا ثلاثة شواهد لثلاثة من قادة التربية والتعليم

وأئمة الفكر في العالم الغربي المعاصر ، يقول (سيربرسي نَنْ Sirpercy Ninn) الذي يحتل الصدارة بين خبراء التعليم في بريطانيا في مقال له كتبه لدائرة المعارف البريطانية « لقد سلك الناس مسالك مختلفة في التعريف بالتربية ولكن الفكرة الأساسية التي تسيطر عليها جميعاً : أن التربية هي الجهد الذي يقوم به آباء شعب و مربوه لانشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها . إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير في التلميذ تلك القوى الروحية التي تتصل بنظرية الحياة ، وتربي التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمد يدها إلى الأمام » .

وأن (جون ديوي Jhon Dewuy) الذي كان تأثيره في نظام التعليم الأمريكي أكبر من تأثير أي رجل في هذا العصر ، يقول في كتابه (الديمقراطية والتربية Democracy and Education) (أن الأمة إنما تعيش بالتجديد وأن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار ، ان هذه الأمة بطرق متنوعة تكوّن من الأفراد الأمين ورثة صالحين لوسائلها ، ونظرية حياتها ، وتصوغهم في قوالب

عقائدها ومناهج حياتها » ويقول البروفيسور كلارك Prof. Clark : « مهما قيل في تفسير التربية فمما لا محيص عنه أنها سعي للاحتفاظ بنظرية سبق الإيمان بها وعليها تقوم حياة الأمة ، وجهاد في سبيل تخليدها ونقلها إلى الأجيال القادمة » .

وعلى هذه النقطة تضغط اسرائيل ضغطاً شديداً، فهي من أشد الدول تمسكاً بمبدأ تقديم الفكرة الدينية واللغة التي تعبّر عنها وتضم ثروتها ، رغم جميع الاتجاهات التقدمية ومسايرة الدول الأوربية الراقية وتوفّر عدد كبير من البارعين في العلوم العصرية واللغات الأجنبية، وجاء في كتاب « التربية في الشرق العربي » وضع الدكتور رودرك ماثيوز والدكتور متي عقراوي : « أن أهم ما يسترعي الأنظار في المدارس الاسرائيلية في فلسطين أن لغة الدراسة في كافة المواد هي العبرية فيما عدا اللغات الانجليزية والفرنسية والعربية ، والعناية شديدة في جميع مراحل التعليم بالدراسة الدينية وجعل التعليم الديني أساس الصهيونية وتقدمها » .

ويفهم مما يلي هذه العبارة أن جميع أنواع المدارس الاسرائيلية أو اتجاهاتها تبعاً للأحزاب التي ينتمي إليها

آباء التلاميذ رغم اختلاف هذه الأحزاب في مثلها العليا التعليمية والدينية والسياسية تلتقي على هذه الفكرة الأساسية وتعنى عناية خاصة بالتربية الدينية ، ويرى بعضها أن التقاليد الدينية اليهودية هي النبراس الذي ينبغي أن تستهدي به نظم التعليم ويحتم بعضها على المعلمين أن يكونوا تقليديين ، أي أن يحرصوا على التقاليد اليهودية الأصولية[1] .

وجاء في مقال (التعليم العالي في اسرائيل) في مجلة فلسطين مقتبساً من الدراسة التي قدّمتها دائرة البحوث والدراسات في الهيئة العربية العليا لفلسطين ما يلي : (ان سياسة التعليم العالي تهدف الى تنمية العقيدة اليهودية والولاء لها. بالاضافة الى الدعاية لاسرائيل و كسب الأصدقاء) وفي المقال تفاصيل هائلة عن العناية باللغة العبرية وجامعاتها وميزانيتها وتمويلها وما يبذل لها اليهود من عناية فائقة ، وأموال طائلة ، وتنظيمات دقيقة .

---

(١) راجع الفصل السابع عشر ، (المدارس الاسرائيلية ومناهجها) ص ٣٥٤ — ٣٥٥ .

وكان أساس هذا التفكير كله ـ الذي يجعل التربية وسيلة لتدعيم العقيدة ، والقيم ، والمفاهيم ، التي يؤمن بها الشعب،وتنميتها وإذكائها ـ أن الأصل هو عقيدة الأبوين ، وإرادتهما، وأن لهما الحق الأول في اختيار الوضع التعليمي لابنهما ، الذي هو قطعة من نفسهما ، ووارث أعمالهما وأحلامهما .

وقد جاء في حكم محكمة الاستئناف في ولاية بومبائي (الهند) في شأن المرافعة التي رفعتها هيئة التعليم(المسيحية) في بومبائي ضد حكومة الولاية، وطلبها من المحكمة أن تمنع الحكومة من تعليم أبناء المسيحيين، ما لا يرضاه آباؤهم، فأصدر رئيس القضاة ، وقاضٍ آخر الحكم الذي جاء فيه:

« الشيء الذي يتمتع به المواطن في ديمقراطية،والذي له قيمة كبيرة هو حرية الفكر ، والذي لا يقبل جدلاً ولا نقاشاً ، أن النظـــام السهل الساذج لضبط الفكرة، هو الإشراف على نظام تعليم الشباب ، . . . . .

. . . .

إن الحكومة ليس لها حق في أن تقهر الأبوين ليعلّما ابنهما التعليم الذي ترى وحدها ، أنه « التعليم الصالح» وفي إعلان

الحقوق الإنسانية الذي تشترك الهند في عضويته ، يوجد كما يلي : « المادة ٦ » (رقم٣) » الأبوان لهما الحق الأول في أن يختارا نوع التعليم الذي ينبغي أن يتلقاه طفلهما .

لذلك لما كان من حق الحكومة أن تجعل التعليم اجبارياً،وتهيىء الأسباب والمرافق لتلقّي التعليم ، وتطبّق منهاجاً خاصاً للتعليم في مدارسها ، لا يزال للأبوين الحق في أن يقرّرا هل يذهب طفلهما إلى هذه المدرسة أو تلك المدرسة ، وأن يتلقى تعليمه في هذا الأسلوب أو أسلوب آخر[1] .

فإذا كانت الأمم الغربية التي ضعفت صلتها بالعقيدة المسيحية وانحلت رابطتها بالقيم الخلقية التي دعت إليها تعاليم المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وساد فيها الشك والاضطراب وعدم الثقة بما يسمى حقائق ومقررات تنظر إلى نظامها التعليمي هذه النظرة الخاصة،وتستخدمه لترسيخ العقيدة وتثبيت دعائم الحياة وإنشاء الانسجام بين الفرد والجماعة ، وبين العقل والعاطفة وبين الماضي

All India Reporter 1954 S.C. 561 (١)

والحاضر ، فكيف بالأمة الإسلامية والبلد الاسلامي العربي الذي لم يحدث في تاريخه مـــا يسمى الصراع بين الكنيسة والعلم ، والدين والدولة ، ولا وجود عنده لنظرية فصـل الدين عن السياسة ،وليس الدين عنده قضية شخصية والذي لم يكن في فترة من فترات التاريخ فريسة الالحاد المتطرف ، ولا الردة الدينية الشاملة .

ثم ان الحربين العالميتين الطاحنتين اللتين قادهمـــا الرجال الذين بلغوا ذروة العلم والثقافـة أثبتتا في الماضي القريب اخفاق التعليم الراقي في تكوين الاخلاق الصالحة واحترام الانسانية والعدل مع الأمم والشعوب الضعيفة . وان الجذام الخلقي الذي تجلى في الشباب الجامعي في أميركا وأوربا وفي الهند وكثير من البلاد الشرقيـــة ، وعبث المتعلمين بالقانون والنظام ، وانسياقهم مع رغباتهم الصبيانية وأغراضهم الخسيسة ، كل ذلك دلّ دلالة واضحـة على أن التعليم ليس غاية في نفسه ، بل هو وسيلة قد تنجح وقـــد تخفق، وقد تنفع وقد تضر ،وقد تكون أداة بناء وتكوين ، وقد تكون آلة هدم وتقويض،وانها إذا تجردت عن عناصر الحصانة الخلقية والتوجيه الصالح وعن العقيدة السليمـة

وعن الوازع الخلقي والديني، فإن ضررها أكبر من نفعها.
لذلك أصبحت التربية والتعليم وفن القراءة والكتابة لا قيمة لها في ذاتها عند كثير من قادة الفكر وأئمة التربية والتعليم في العالم الغربي وأصبحت وسيلة تقوّم بقيمة نتائجها وأخلاق حملتها ودورهم في تكوين المجتمع وصيانته .

ان الدعاية الجبارة التي قامت في بلادنا الشرقية ونشطت لتمجيد التعليم ولفن القراءة والكتابة بتعبير أصح ، وما ظهر من المبالغة والاسراف ، والخيال الشعري في قيمة الثقافة والتعليم العالي ، والتصوير البشع الذي صُورت به الأمية في كل حال ، والازدراء والسخرية بالأفراد الذين لم تمكنهم الفرص من تلقي التعليم الجامعي ، كل ذلك أضفى على التربية والتعليم وعلى الثقافة نوعاً من القدسية والروحانية ، وجعل الناس يغضّون النظر عن حقائق كثيرة وعن عيوب ومواضع ضعف في الطبقة المثقفة في بلادنا ، وأصبح كثير من المغرورين يفضلون المتعلم المجرم اللئيم على الأمي المستقيم الكريم ، ويفضلون العصر الذي انتشر فيه فن القراءة والكتابة وانتشر التفسخ الخلقي ،

والبلبلة الفكرية والتشكك في المقررات والمسلمات والحقائق والبديهيات ، وتشاغل الناس فيه بأنفسهم وأولادهم وفقدت الغيرة الدينية والخلقية وأصبحت المادة إله الجميع ، أصبح كثير من الناس يفضلون هذا العصر على جميع علاته على عصر توفرت فيه جميع الفضائل الدينية والخلقية على قلة نسبة المتعلمين وندرة المثقفين ، وانحصار فن القراءة والكتابة في نطاق محدود ، وما ذلك إلا لخضوع هؤلاء لهذه الدعاية السطحية التي استخدمت لتهويل شان التعليم والشهادات العلمية . انه تفكير سطحي يجب أن يترفع عنه أحرار الفكر وأصحاب الرسالة والمؤمنون بقيمة الأخلاق والأعمال الصالحة والميزون بين الوسائل والغايات .

لقد أثبت التاريخ مرة بعد مرة أن الشعوب التي تتخذ الوسائل غايات والعلوم والفنون آلهة تعبد ويقوى فيها النظر والجدل على حساب الخلق والعمل ، ويكثر فيها الافتتان (بالفنون الجميلة) وتضعف فيها الإرادة وقوة المقاومة للمغريات ووسائل الترفيه والتسلية وتضعف فيها الغيرة والحمية ، وتعشق الحياة والملذات ، وتنتشر فيها البلبلة الفكرية ، وينتشر فيها التشكيك الشامل للعقائد

والآداب والاستخفاف بجميع التقاليد والعادات التي كان فيها الشيء الكثير من القوة والصلاح. ويتطاول فيها الريب إلى مصادر الدين ومراجع التاريخ وإلى الشخصيات القديمة، والحوادث التاريخية وإلى الأعراف والعادات، يقود هذه الحملة فيها كبار الأساتذة وحذاق الأدباء ونوابغ الباحثين وحملة الأقلام ومنشئو الصحف، وينتشر هذا السمّ في كل طبقة من طبقات الأمة ويتسرب إلى عقول الشباب ونفوسهم، ويتغلغل في احشائهم، فإن هذه الأمة لا تثبت أمام أي عدو زاحف أو قوة مهاجمة، ولا تثبت في معركة يوماً واحداً، وهذه قصة اليونان وقصة الرومان وما يوم النكبة في الشرق العربي منا ببعيد.

فلنكن واقعيين ولنحكم على التعليم الراقي وعلى الثقافة الغربية الحكم الصحيح الدقيق، المؤسس على التجارب والحقائق، ولا ننظر إليها كالدواء الوحيد ولا ندن لها بالعظمة والتقديس، ولنضبطها بعناصر مقومات تنفي عنها عوامل الضرر والافساد، ودواعي الزيغ والالحاد والاتجاه الزائد إلى الميوعة والتحلل، والاضطراب والتشكك في كل شيء، ولنكيفها مع عناصر ثقافتنا

وشخصيتنا الاسلامية ، وطبيعتنا العربية الشرقيـــة ، ولنخضعها لرسالتنا العالمية الخالدة ومبادئنا ونجعلها جنداً من جنودها .

وأخيراً لا آخراً يجب أن لا نخطو خطوة في سبيـــل التربية والتعليم وفي تصميم المدنية وفي سبيل أي مخططات نضعها لهذه الجزيرة حتى نعرف ونذكر أن هــذه الجزيرة العربية التى نعيش فيها الآن ونتحدث عنها هي غرس محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وثمرة دعوته وجهاده وله ولأصحابه وللمؤمنين بدعوته وحدهم الحق عليها ، فيجب أن يكون كل شيء يقوم في هــذه الجزيرة ـ من تنظيمات وتصميمات ومخططات ومؤسسات ـ معترفاً بهذا الحق خاضعاً لهـــذا الأصل ، عائشاً في هذا الظل ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حريصاً كل الحرص دقيقاً كل الدقة في أن تبقى هذه الجزيرة حصناً حصيناً للإسلام متماسكة قوية بعيدة عن كل اصطراع ديني وفوضى فكرية ، عن جابر بن عبدالله قال أخبرني عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول [1] « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب

---

(١) رواه مسلم .

حتى لا أدع فيها الا مسلماً » . وقال [1] : « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب ». وقد شملت هذه الوصية الحكيمة والتعليم العميق الدقيق إقصاء كل عنصر يحدث في قلعة الإسلام وعاصمة محمد عليه الصلاة والسلام الثورة والردة وعدم الثقة بفضل الإسلام ، وخلود رسالته ، وعمومها للانسانية، وانحصار السعادة في العمل بها والنجاة في قبولها والايمان بها.

و (لا إكراه في الدين) وتاريخ الإسلام لا يعرف محاكم التفتيش ووسائل التعذيب التي امتازت بها القرون المظلمة في أوروبا، ولكل واحد أن يختار لنفسه ما يحب من الآراء والنظريات ، ولكن لا يسمح بنشر الفوضى وبذر بذور الشك والضعف وفقد الثقة بالمبادىء والأسس الاسلامية ، في هذه الجزيرة التي هي قلب الإسلام، ولا يؤذن بنشر الدعاية للقوى المعادية والمنافسة وللمعسكرات الأجنبية في عاصمة الإسلام وفي حصن الدعوة وفي ثكنة الجيش الاسلامي ، فمن لم تطب نفسه ولم ينشرح صدره للعقيدة الاسلامية ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وإمامته الخالدة العالمية وفضل

---

(١) عن ابن شهاب مرسلاً .

تعاليمه ، ومن آمن بالفلسفات الاجنبية ، واقتنع بهـــا وتحمس لها فليس له محل في الحقيقـة في هذه الجزيرة ولا يجوز أن تتاح له الفرص وتهيأ له الوسائل في توجيه العقول وتربية النفوس ولا يصح أن تقدم له أفلاذ أكباد هـــذه الجزيرة وخيرة شبابها ليصنع من هذه الفطر السليمة ، التي هي من أكرم ذخائر العـــالم الاسلامي وأنفس ثرواته وأكثرها استعــــداداً للنبوغ ، مصنوعات لا تنسجم مع العقيدة والدعوة التي قامت عليها وعاشت لهـــا هذه الجزيرة منذ أكثر من ألف سنة ، والتي لا يزال العـــالم الاسلامي متطلعاً اليها ، متشوقاً لها ، بل لا يزال العـــالم الانساني كله مفتقراً اليها مقدراً لها كل التقدير .

هذه خواطر ومشاعر أملاها الإخلاص لهذه الجزيرة والحب لاخواننـــا العرب الذي أصبح جزءاً من أجزاء الايمان نابعـاً من قرارة الضمير والوجدان ، وإني أطلب العفو والصفح الجميل ، إذا كان في هذه الكلمة صراحـــة بلغت حد المرارة وأساءت بعض الاساءة إلى شعور السادة الأجلاء الذين بذلوا جهدهم ولا يزالون في سبيل توجيـــه التربية ، التوجيه الاسلامي وإنهاض هذه الجزيرة علميـاً

وثقافياً ، ولا يدخرون في ذلك جهداً ، فالنقد سهل والعمل صعب ، والتوجيه ميسور والتطبيق عسير ، ولهم من صاحب الحديث كل احترام وتقدير واعتراف بالفضل وفي مقدمة هؤلاء السادة وعلى رأسهم الوزير الفاضل والمسلم الغيور ، الذي هو فرع تلك الدوحة الكريمة السامقة التي أثمرت أعظم دعوة إلى التوحيد والدين الخالص ، في عصرنا الأخير . والذي هيأ له عاهل هذه البلاد جميع الفرص والوسائل لتحقيق الغاية النبيلة ، ونشر التعليم الصحيح ، ووضع فيه ثقته الغالية .

نسأل الله جاهدين مخلصين أن يبارك هذه المساعي ويسدد الخطى ، ويحقق المقاصد والآمال ، وتعيش هذه البلاد دائماً في ظل الايمان والاسلام والأمن والسلام .

خطوط عريضة
لجامعة للدعوة والارشاد

مذكرة قدمها المؤلف في اجتماع المجلس الاستشاري للجامعة الاسلامية في المدينة المنورة المنعقد في المدينة المنورة يوم ٢٢ ذى الحجة عام ١٣٨١ هـ. ننشرها لما فيها من توجيه للعقول وتنوير للأبصار ، وللمؤسسات الاسلامية والمعاهد الدينية في العالم الاسلامي عامة .

فكرة الجامعة الاسلامية ومشروعها : لقد كانت فكرة الجامعة الإسلامية فكرة جليلة جاءت في أوانها وهي تملأ فراغاً عظيماً ، كان عقلاء العالم الاسلامي ورجال التعليم والتربية الاسلامية يشعرون به من مدة طويلة وقد حدَّث بها المحدثون في أوقات مختلفة ، وقد قيض الله لها الحكومة السعودية فكانت مأثرة من مآثرها الجليلة الكثيرة التي يسجلها التاريخ ، ويذكرها المؤرخون،في المستقبل باجلال وتقدير .

ولقد كان لقيامها في المدينة المنورة صدى في أنحاء

العالم الاسلامي ما سمع لمشروع آخر منذ زمن طويـــل ، وتلقى المسلمون هـذا النبأ بتفاؤل عظيم واستبشروا بـه وعلقوا به آمالاً جساماً ، ولذلك عظم خطر هذه المؤسسة وعظمت مسئولية القائمين بها إذ أصبح العـالم الاسلامي لا يطيق ولا يسيغ إخفاقاً جديداً لمشروع جديد لكثرة مـــا تحمل من النكبات وبكثرة ما مني به من إخفاق المشروعات وخصوصاً إذا توفرت الوسائل لتحقيق هـــذا المشروع ، وقامت به حكومة من أغنى الحكومات الاسلامية ـ والحمد لله ـ فلنتق الله في هذا العالم المرهق والمثخن بالجراحات ولا نمتحنه برزيئة جديدة وخيبة أمل جديد .

تحديد الهدف : لا بد من تحديد هدف لهـذه الجامعة . فالجامعات في العالم الاسلامي كثيرة وقديمة وكبيرة فلا بد لهذه الجامعة الوليدة من ميزة تمتـاز بها وشعار يميزها بين شقيقاتها .

وهدف الجامعة الاسلامية يتلخص عندي في جملة واحدة وهي تخريج الدعاة إلى الله ، القائمين بالدعوة في فقه وبصيرة وتعمق، وهي تستدعي الرسوخ في العلم والدين والاطلاع على ما تجدد ويتجدد في هذا العصر الجديد ، والايمـان الجديد

بخلود رسالة الاسلام وصلاحيتها لكل زمان ومكان واقتناعه بأن محمداً ﷺ هو خاتم الرسل ومنير السبل وإمام الكل، وإذا ملأت هذه الجامعة هذا الفراغ بإذن الله قامت بعمل تجديدي عظيم تشتد حاجة المسلمين إليه .

ويجب أن يكون هذا الهدف نقطة يدور حولها نظامها ومناهج دراستها ويقوم عليها جهازها العظيم ويخضع كل شيء في هذه المؤسسة من كتب ونظم وأساتذة لهذا الهدف .

والآن أحب أن أتكلم عن وسائل تحقيق هذه الفكرة في شيء من التفصيل وأحرص بقدر الامكان على طرق إيجابية عملية .

المواد الدراسية الأساسية : يجب أن يكون من المواد الدراسية الأساسية الكتاب والسنة والسيرة النبوية .

أما القرآن فيجب أن يدرس كالكتاب المعجز الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، بطريقة يؤمن بها الطالب بخلود هذا الكتاب العظيم واعجازه وبكونه المفتاح الرئيسي لأقفال الحياة . وتكون عقيدته وهتافه (إن ربي على صراط

مستقيم[1]) ولا يؤمن به بمجرد إيمان بل يتذوقه ويمتلىء بحبه حتى يملك عليه ذلك مشاعره وتفكيره فهو الكتاب الوحيد الذي يرافقه في رحلته الطويلة المعقدة وهو الذي يفتح به كل قفل، ويحل به كل مشكلة، وينتصر به على كل معارضة، وبمقدار تذوقه والتضلع منه والنزول في أعماقه ومقدار إيمانه به وثقته واستحضاره له يستطيع أن يؤدي مهمته ويتغلب على الصعوبات.

وينوه في تدريس القرآن بصفة خاصة بعقيدة التوحيد النقية الخالصة ويجب أن يكون أساس علم التوحيد وشرح العقيدة الاسلامية والبحث في الذات والصفات كما شرحه الرسول ﷺ وفهمه الصحابة والتابعون لهم بإحسان. وليس هناك طريقة أفضل وأقرب إلى الفطرة السليمة وأسهل فهماً وأشد تأثيراً في العقول ـ عقول كل عصر ـ من طريق القرآن بحيث يرجع الطالب إلى بلاده وبيئته وهي بيئة موبوءة في أكثر الأحوال بالعقائد ذات الصلة بالشرك وعادات جاهلية، داعية إلى التوحيد النقي صارخاً

---

(١) سورة هود: الآية ٥٦.

(ألا لله الدين الخالص) وليس ما يسميه النـــاس بعلم التوحيد والكلام ووضعوا فيه كتباً طـــوالاً تكونت بها هذه المكتبة العظيمة في علم الكلام أوفى بالمقصود وأوقع في النفوس وأنفى للشك وأدعى إلى اليقين والايمان وأشرح للصدور من علم العقيدة الذي يتضمنه القرآن ويقرره في أسلوبه السائغ الواضح الذي تقبله الفطر السليمة والعقول المستقيمة في كل عصر وجيل ، فيجب على الأستاذ أن يجعل القرآن أساساً وقاعدة لشرح العقيدة الإسلامية ،فمنه يستقي وإليه يرجع،وأسلوبه يقلد ولا يستطيع أن يقوم لهذا العمل إلا أستاذ قد تذوق القرآن وأصبح له شعاراً ودثاراً وكانت له بهذا الكتاب صلة قوية عميقة صلة شخصية لا تعتمد على الكتاب والدراسات وحدها ، وليست صلة دارس للكتاب بل صلة رجل يعيش بهذا الكتاب وفي هذا الكتاب .

ثم السنّة يجب أن تدرس بطريقة يؤمن بهـا الطالب بقيمتها العملية وتوجيهها للحيـاة وتنظيم المجتمع الانساني على أسس إيمانية جديدة وتكون العناية بنواحيها الخلقيـة والاجتماعية وتكون السيرة وتربية النفوس ووصلها بالله

أبرز من ناحيتها الفقهية وهي ناحية مهمة لا شك ولكن لا ينبغي أن يكون البحث في المسائل الخلافية على حساب موضوعها ورسالتها وهي تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق والإقبال من الآخرة والزهد في حطام الدنيا والرغبة في العبادة ، وأن ينشأ الطالب على حب الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتبع سنّته في الحياة كلها لا في قضايا معدودة اختلف فيها الأئمة والمجتهدون واختلفت فيها الأحاديث والروايات.

ويجب أن تراعى الشبهات التي وجهت إلى مكانة السنّة في الشريعة الاسلامية وحجية الحديث و تاريخ تدوينه وما أثاره ويثيره المستشرقون بين حين وآخر من أسئلة ومناقشات سوف يواجهها المتخرجون في هذه الجامعة والدعاة إلى الله والعاملون في الحقل الاسلامي ويجب أن يكون على بينة من أمره وثقة بهذه المؤسسة العظيمة التي تنبثق من كتب السنة ومكتبة الحديث.

ويجب أن يتخرج الطالب من هذه الجامعة واسع الصدر رحب الذراع ميالاً إلى جمع كلمة المسلمين ولمّ شتاتهم ويقصر الفجوة بين المذاهب وأهلها ، حسن الظن بالأئمة

المجتهدين والسلف المتقدمين ، كارهاً بعيداً عن توسيع الفجوة بين طوائف هذه الأمة وطبقاتها وبين الماضي والحاضر غير مثير للضغائن والأحقاد القديمة، والأمة لا تطيق اختلافاً جديداً و إثارة للدفائن وما عفاه الدهر .

أما السيرة النبوية فيجب أن تكون من المواد الدراسية الرئيسية إذ هي من أقوى العوامل لتكوين السيرة وتكوين الايمان بعظمة الرسول ﷺ والباعث على حبه فيجب الاكثار من هذه المادة ويجب أن يعيش الطالب مع أستاذه أو أساتذته في هذه البيئة وفي هذا الجو ، ووجود هذه الجامعة في مدينة الرسول ﷺ وفي جواره الكريم يوجب التضلع والتأثر العميق بهذه المادة ، ويجب أن يكون تدريس السيرة أو دراستها بطريقة مؤثرة مرققة حية لا تنقل هذه السيرة إلى الطالب بل ينقل الطالب إليها وإلى أجوائها حتى يشعر أنه يعيش مع الرسول ﷺ وأصحابه في عصره ويمتلىء حباً بهذه الشخصية الفريدة وإجلالاً لها ويؤثرها على نفسه وعلى كل شخصية عرفها وأحبها من الشخصيات القديمة أو المعاصرة ، ويحسن أن تكون سيرة ابن هشام من المواد الدراسية ويحث على مطالعتها والاشتغال

بها والتضلع منها .

وفي هذه الناحية يشار إلى شكوك وأسئلة أثارها المستشرقون وإلى دسائسهم وتوضيح سوء نيتهم وضعف مأخذهم وقلة علمهم وتعمدهم للتشكيك والاختلاق وإخفاء الحق والتلبيس ويناقشون مناقشة علمية قوية مؤسسة على الدليل والبرهان قائمة على أساس التاريخ والعلم الحديث ويبرز في السيرة النبوية مواقع العظمة الانسانية وجوانب الاعجاز والعبقرية وصلاحية هذه الشخصية الكريمة لتكون قدوة لجميع الأجيال وأسوة حسنة لجميع طبقاتها وأفرادها والشخصية التي لا تسعد البشرية ولا تتزن الحياة ولا يقوم المجتمع الصالح إلا بالاقتداء بها واتخاذها إماماً ورائداً .

ويلي هذه المواد الدراسية الأساسية فلسفة التشريع الاسلامي وحكم الشريعة وأسرارها ومقاصدها على أساس يخلو من التقليد والتطرف على منهاج حجة الله البالغة للامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي مع مراعاة تطور العصر الحديث وما جدَّ فيه من نظريات وفلسفات واتساع دائرة البحث والتفكير فيه حتى شملت الحياة كلها وتناولت العلوم كلها .

ويليه كذلك علم الفقه وأصول الفقه فالذي أراه أنه لا غنى عن تدريس المذاهب الأربعة واختيار الكتب أو كتاب يعتمد عليه في ذلك المذهب ، فإذا تخرج الطالب في هذه الجامعة جاهلاً بمذهبه ومذهب المجتمع الذي سيعيش فيه ويقوم بدعوته في تلك البيئة لم يحسن القيام بأعباء الدعوة ولم يكن بينه وبين بيئته اتصال يمكنه من النفوذ فيه، وإحراز ثقته ولكن لا بد أن يكون تدريس هذه المذاهب بروح التسامح والميل للتوفيق واتساع أفق الفكر وحسن التعليل للمذاهب الأخرى .

المواد الأخرى

الأدب العربي :

ولا تجوز الاستهانة في هذه الجامعة التي ستخرج الدعاة بقيمة الأدب العربي ولا يجوز الاقتصار فيه على مستوى ضعيف،ومجرد مشاركة أو إلمام،فما زال الأدب ولا يزال أقوى عامل للهدم والبناء وغرس الفكرة واقتلاعها من النفوس وقد كان الدعاة إلى الله من عهد سيدنا علي بن أبي طالب إلى الحسن البصري إلى الغزالي وابن الجوزي إلى

من نبـغ منهم في الماضي القريب من الطبقة الأولى في البلاغة والتعبير وحسن الأداء وقوة التأثير ، بل كان كثير منهم أصحاب أساليب ومدارس أدبية ومن أئمة البيان ، وقـد كانت ولا شك مكانتهم الأدبية وسليقتهم العربية من أقوى جنود الدعوة وأسباب الانتصار والانتشار لفكرتهم ، وقد استغل الأدب في هذا العصر قوم لاهدار القيم الخلقيـــة وغرس الشك والنفاق في النفوس والمجتمع وتزيين الفحشاء والمنكر ونشر الأفكار الزائفة والفلسفات الهدامـــة ولا يقاوم ذلك ولا يقوم في وجهه إلا أدب قوي دافق بالحياة وكتابة أصيلة مشرقـــة الديباجة ، وأسلوب من أحدث الأساليب وأقواها ولا يتأتى ذلك إلا بالتضلع من الأدب القديم ومصادره ونقد الأساليب الجديدة والاطلاع الواسع عليها والممارسة للكتابة والانشاء ، ولا بد لذلك من توجيه ، أساتذة لهم مكانتهم في الأدب القديم والحديث ويعدون في طليعة الأدباء والمنشئين الناقدين وهي حاجـــة من أهم حاجات جامعة إسلامية تقوم على أساس الدعوة والتوجيه وقد أصبح الأدب أشد تأثيراً في العقول والاتجاهـات من الفلسفة وعلوم الطبيعة ، وقد تمالأ مع الإلحاد وأصبح من

أكبر أنصاره ورائديه ، فلا بد من أن يواجه النار بالنـــار وتقابل الريـح بالإعصار ويضرب الأدب الملحد المتحلل بالأدب الاسلامي القوي المؤثر ،وقد جنى على الدعوة والدعاة ضعف التعبير والكتابه البعيدة عن التأثير وأفقدها كثيراً من الوقع في النفوس والسيطرة على العقول .

العلوم العصرية الجديدة : ولا بد لأبناء هذه الجامعـة ومتخرجيها من الاطلاع على العلوم العصرية كعلم الاقتصاد والسياسة ولبعض العلوم الطبيعية والجغرافية والتاريخ إذا لم يصل إلى درجـــة إطلاع الامام الغزالي وشيخ الاسلام ابن تيمية على العلوم العقلية التي شاعت في عصرهم فلا بـــد أن يكون في درجة إطلاع القساوسه والمبشرين والمتخرجين في كلية القسس في (الفاتيكان) والذي يجهل هذه العلوم أو لا يرتقي فيها على درجة العوام والسوقة لا يقوم بمهمته ولا يتمتع بالثقة والاحترام في المجتمع .

الحاجة الى مجمع علمي اسلامي : وكان الأمثل أن يكوّن مجمع علمي إسلامي يؤلف في هذه العلوم كتباً تجمع بين جدة الاطلاع وغزارة المادة ومتانة البحث وبين إثبات العقيدة الاسلامية والتوفيق بين العلم والدين ، ولكن فاتنا وفــات

الحكومات الاسلامية هذا الانتاج العلمي الذي كان المجتمع الاسلامي وجيلنا الجديد في أشد الحاجة إليه وكان ذلك وحده يجنبنا الصراع بين العلم والدين الذي أصبح العـــالم المسيحي فريسة له وكان من أعظم أسباب انتشار الإلحاد واتجاه العالم المعاصر إلى الثورة على الدين وعدم الثقة به ، وبوسع الحكومة السعودية إذا صح عزمها وتيسر لهـــا الرجال الأكفاء أن تملأ هذا الفراغ الذي يشعر به رجال الفكر والدعوة في العالم الاسلامي القائمون على المؤسسات العلمية والتعليمية في مختلف أنحائه.

أساتذة مؤمنون : ولكننا إذا فاتنا هذا العمل الجليل في الماضي ولا نستطيـع أن نوقف عملية التربية ، ونعطـل جهاز التعليم فيمكن أن يتدارك ذلك إلى حد ما باختيار أساتذة يجمعون بين متانة العقيـــدة والاقتناع بالاسلام كدين خالد أبدي وبين الاطلاع الواسع العميق على العلم الحديث ، هؤلاء الذين يميزون بين القشر واللباب والزائف الفج غير الناضج من الآراء والنظريات وبـــين المختمر الناضج الحصيف من الآراء والتجارب ، الذين لا تغرهم الدعاوى العريضة والطبول الفارغة ، بل يعتمدون دائماً

على حصيلة الاختبارات وعصيرة التفكير ، الذين ما زادهم التوسع في الدراسات والتفنن في العلوم والاحتكاك بالحضارة الغربية إلا إيماناً بالحقائق الغيبية والتعاليم الإسلامية ، إنهم القليلون في العالم الاسلامي ولكنهم غير مفقودين ، أولئك الذين إذا درسوا هذه العلوم العصرية الحديثة والنظم السائدة كوّنوا في نفوس الشباب ثقة جديدة وإيماناً جديداً بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وخلود الرسالة الاسلامية وعبقرية الشريعة السماوية وما أحوجنا وما أحوج هذه الجامعة إلى هذا الضرب من العلماء وما أحسن أثرهم على شباب الجامعة وما أعظم دورهم الذي يمثلونه في تكوين العقلية الجديدة وتكوين الجيل الاسلامي الجديد .

تاريخ الجاهلية والاسلام : ومن أهم مواد هذه الجامعة الدراسية دراسة التاريخ ، ولا أعني به هذه القائمة العقيمة للأحداث ووفيات الرجال وتقلبات الحكومات إنما أعني به تاريخ الديانات وتاريخ المجتمع البشري ، وتاريخ التطور الفكري والخلقي وتاريخ الجاهلية بأوسع معانيها وأوسع مساحتها وتاريخ البعثة المحمدية ، وما أحدثت من إنقلاب وثورة في المجتمع وثورة في المفاهيم والقيم والاتجاهات وما أضافت إلى الثروة الإنسانية وما فعلت من المحو

والإثبات وتاريخ المد والجزر في تأثير الإسلام وسيطرته، وما سبب من سعادة وشقاء ونهضة كبيرة وما عاد على الإنسانية والمجتمع البشري بسبب قيادة الاسلام من الخير الكثير وما آل إليه العالم بزوال قيادته من الشقاء الطويل والويل الكبير ، هذا التاريخ الذي يجعل شبابنا الواعي يفكر في الجهاد لإنهاض المسلمين وإعادة الإسلام إلى مركزه في قيادة العالم .

<u>تاريخ الدعوة والاصلاح</u> : وكذلك يحتاج أبناء هذه الجامعة وهم أفلاذ أكباد الشعوب الاسلامية إلى معرفة تاريخ الدعوة والتجديد في العالم الاسلامي حتى يكونوا على ثقة بأن الإسلام هو الدين المختار وآخر الرسالات التي لم تضع ولم تبتلعها الجاهلية في مختلف عصورها ، وإنه لم يزل يقاوم التيارات المعاكسة ويتغلب عليها ويثبت حياته وقوته ، ويحملهم هذا الرصيد التاريخي على الاختبار والمغامرة واستعمال مواهبهم وإثارتها وليسيروا في ضوء هذه التجارب إلى الغاية المنشودة التي قامت هذه الجامعة لأجلها وهي تخريج الدعاة إلى الله الربانيين الذين ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين

وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

هذه خطوط عريضة أيها السادة لجامعة تقوم على أساس جديد وإن كان أساساً قديماً وهو أساس الربانية والدعوة إلى الله .

حقل الدعوة العملية : ولا يقتصر مع أبناء هذه الجامعة على الدراسات والعكوف على المطالعة والحياة بين الكتب وحدها ، بل يخرج بهم أساتذتهم إلى حقل الدعوة العملية وإلى أوساط المجتمع ، أو تتاح لهم فرص التجول مع الدعاة المخلصين والعلماء الربانيين في بلدهم وفي الخارج حتى يجربوا الدعوة الاسلامية ومشكلاتها ويعرفوا ما وصل إليه المجتمع الإسلامي والشعوب المسلمة من الجهل والغفلة من الدين والانغماس في الحياة وتكاليفها،ويسهل لهم التقشف في الحياة والبساطة في المعيشة ، وينشئوا على حب العبادة واتباع السنة في حياتهم العملية ولا يعيشوا في عزلة عن الحياة الواقعية وعن صميم الحياة ولا يعيشوا في البرج العاجي وفي عالم الأحلام والأوهام والنظريات العلمية فحسب .

ومفتاح المفاتيح في هذه الجامعة وجود أساتذه

يجمعون بين الإيمان القوي الراسخ والعلم العميق الواسع ويجمعون بين القدوة الصالحة وبين دراسات واسعة يتضلعون من القديم ويفهمون روح العصر الحديث ومشكلات الشباب ونفسيتهم وطريق حلها، متصلبون في الأصول متوسطون في الفروع، يتورعون في دينهم عن المداهنة وفي العلوم عن الجمود وضيق التفكير، أخذوا من القديم الرسوخ والتبحر في العلم ومن الجديد الاستطلاع وحب الواقعية، أولئك يندر وجودهم ولكن لا يخلو عنهم العالم الاسلامي فإن وجدت الشخصيات الجامعة فأنعم بها وأكرم، وإلا يوجد أفراد يسند بعضهم بعضاً ويكوّنون المجموعة المطلوبة ويكوّنون بجوانبهم المشرقة هذا المجمع العلمي الذي يسير بهذه الجامعة إلى الأمام ويخرج منها شباباً يقومون بأعباء الدعوة الاسلامية في أنحاء العالم.



الفهرس

طبع على مطابع
دار لبنان
للطباعة والنشر
هاتف ٢٥٧٤١١ - ٢٩٤٢٠٤ - ٢٩٣٠٤٣
بيروت - لبنان - ص.ب ٥٦٢٠

٦٩ / ٣٧٠٠ / ١٧٦٠